الطفولة في بيت علي وفاطمة عليهما السلام

مقاربات معرفية في ضوء علم نفس الطفل وعلم نفس النمو

ISBN 978-9922-8694-1-4

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ٣٥٤ لسنة ٢٠٢٥

BP192.1.A3 H38 2024

الحسني، نبيل، ١٣٨٤ للهجرة- - مؤلف.

الطفولة في بيت علي وفاطمة عليهما السلام : مقاربات معرفية في ضوء علم نفس الطفل وعلم نفس النمو / تأليف السيد نبيل قدوري حسن الحسني. - الطبعة الاولى. - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٤ / ١٤٤٥ للهجرة.

١٥٠ صفحة ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١٥٤٥)، (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛٢٣٧)، (سلسلة الكتب العلمية، وحدة الدراسات النفسية والتربوية ؛ ٣٣)

يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة ٢. فاطمة الزهراء، فاطمة بنت محمد بن عبد الله (عليها السلام)، ٨ قبل الهجرة - ١١ للهجرة ٣. الأطفال - علم نفس ٤. الأطفال - نمو ٥. الاطفال - تربية إسلامية أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة - جهة مصدرة. ب. العنوان

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

الطفولة في بيت علي وفاطمة عليهما السلام

مقاربات معرفية في ضوء علم نفس الطفل وعلم نفس النمو

تأليف
السيد نبيل قدوري حسن الحسني

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة
مؤسسة علوم نهج البلاغة
www.inahj.org
Email: inahj.org@gmail.com
موبايل: ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣ – ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

الإهداء

إلى مَنْ صلَّى عليه اللهُ وملائكتهُ في مُحكَم كتابِه، فقال: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

إلى مَنْ صلَّى عليه الوصيُّ (عليه السلام)، قائلًا:

«اللهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ ودَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ، وجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وسَعِيدِهَا، اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، ونَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ والْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، والْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ والدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ، والدَّامِغِ صَوْلَاتِ الأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ولَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِيًا لِوَحْيِكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ، مَاضِيًا عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وهُدِيَتْ بِه الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ والآثَامِ، وأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلَامِ ونَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، ورَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ.

اللهُمَّ افْسَحْ لَه مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ، واجْزِه مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، اللهُمَّ وأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَه، وأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَه وأَتْمِمْ لَه نُورَه، واجْزِه مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَه مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وخُطْبَةٍ فَصْلٍ، اللهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وبَيْنَه فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وقَرَارِ النِّعْمَةِ، ومُنَى الشَّهَوَاتِ وأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ، ورَخَاءِ الدَّعَةِ، ومُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ وتُحَفِ الْكَرَامَةِ»[1].

إلى: سيدي ومولاي وجدي رسول الله (ﷺ) أُهدي هذا الجهد.

خادمك وولدك نبيل

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٧١، ج١ / ص٢٩٢ بتحقيق أ. د صلاح الفرطوسي.

المقدمة

«الحَمْدُ لله عَلى ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُكْرُ عَلى ما ألْهَمَ، والثَناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغُ آلاءٍ أسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والآها، جَمَّ عَنِ الإِحْصاءِ عَدَدُها، وَنَأى عَنِ الجَزاءِ أمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإِدْراكِ أبَدُها»[1].

والصلوات التامات، والزاكيات الطيبات على النبي الأمجد، والرسول المسدد أبي القاسم محمد، عبده ورسوله، **«أَرْسَلَه بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ والْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، والْكِتَابِ الْمَسْطُورِ والنُّورِ السَّاطِعِ، والضِّيَاءِ اللَّامِعِ والأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ واحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وتَحْذِيراً بِالآيَاتِ وتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ»**[2].

وعلى آله **«مَوْضِعُ سِرِّه ولَجَأُ أَمْرِه، وعَيْبَةُ عِلْمِه ومَوْئِلُ حُكْمِه، وكُهُوفُ كُتُبِه وجِبَالُ دِينِه، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِه وأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِه»**[3].

ما أشرقت شمس، وأضاء قمر، وأسفر صبح، وأنجلا ليل، وسلّم عليه وعليهم تسليماً كثيرا بعدد ما أحاط به علمه، آمين يا ربّ العالمين.

أمّا بعد:

إنّ من البداهة بمكان أن تنال مرحلة الطفولة عناية بالغة في الديانات والثقافات الإنسانية فضلا عن العلوم النفسية والتربوية والأجتماعية، وذلك لما تشكله هذه المرحلة من ركيزة أساس في تحديد شخصية الإنسان.

ومن أجل الوصول إلى النتائج الصحيحة والمثمرة في تكوين شخصية

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: خطبة الزهراء (عليها السلام)، ج١ ص ١٣٢.
(٢) نهج البلاغة، بشرح محمد عبده، الخطبة الثانية، ج١ ص ٢٧.
(٣) المصدر السابق، ج١ ص ٢٩ - ٣٠.

الإنسان عبر مرحلة الطفولة فقد مازجت الدراسة التي بين أيدينا فيما بين العلوم والمعارف التي زخر بها بيت علي وفاطمة(عليهما السلام) في عالم الطفولة وما تعلق به من أصول في النمو النفسي والبدني والتربوي والإدراكي وبين ما تفرع من العلوم النفسية المعاصرة كعلم نفس الطفل، وعلم نفس النمو، وعلم النفس التربوي، وهو منهج جديد في المقاربات المعرفية بين هذه العلوم المعاصرة، وبين علوم بيت النبوة ممثلا ببيت علي وفاطمة(عليهما السلام).

وذلك بوصفهما ممن اجتباهما الله تعالى واصطفاهما بالعصمة، فضلا عن كونهما مظهرا لعلم النبوة الذي أودعه سيد الخلق (صلى الله عليه وآله) فيهما، فكان متابعا ومؤسسا ومبينا لأصول وقواعد نمو الطفل ونشأته وتعليمه وتربيته، وذلك عبر ولديه وريحانتيه من الدنيا الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) كما سيمر عبر عينة الدراسة.

وعليه: فقد أُعدت هذه الدراسة لتكون منهجا دراسيا في قسم علوم نهج البلاغة والتربية الإسلامية لتتواشج ضمن المقاربات المعرفية والعلمية مع مادة علم نفس النمو وعلم النفس التربوي ولاسيما فيما تعلق بمرحلة الطفولة وما تشكله من أهمية بالغة للتربويين في المدارس والجامعات فضلا عن احتياج الأسر إليه.

وقد اشتملت الدراسة على سبعة مباحث، تناولت جوانب عديدة من عالم الطفولة ونمو الطفل وتنشأته وتربيته، وهي على الآتي:

فأما الأول: فخصص للتعريف بالطفولة ونظريات علم نفس الطفل وعلم نفس النمو.

والثاني: النمو اللغوي وكيفية اكتساب اللغة لدى الطفل.

والثالث: مرحلة المناغاة وأثارها المعرفية والادراكية على الطفل.

والرابع: اللعب وأثاره على الطفل في نمو النواحي العقلية والمعرفية والجسمية والاجتماعة.

والخامس: المنهاج العملي للنبي وعلي وفاطمة (صلوات الله عليهم) في لعب الطفل وأثاره في النمو المعرفي والبدني.

والسادس: منهاج النبي (صلى الله عليه وآله) وسلم في ملاعبة الحسن والحسين عليهما السلام خارج البيت.

والسابع: رعاية فاطمة لأبنيها(عليهم السلام) في ضوء المنهج النبوي.

فإنْ أصبت فذلك مبلغ علمي ومقدار رزقي من التوفيق ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٧٦] ، والله ولي التوفيق ، ومنه ومن رسوله (صلى الله عليه وآله) نسأل المزيد ، قال تعالى : ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ أَنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ**﴾ [التوبة:٥٩] .

اللَّهم أنَّا إليك وإلى رسولك راغبون ولفضلكما ملتمسون ؛ ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيه أُنِيبُ**﴾[هود:٨٨] ، ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا أَنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [البقرة:١٢٧] ؛ فالحمّد لله على فضله وفضل رسوله(صلى الله عليه وآله) .

المتشرّف بالخدمتين

العتبة الحسينية المقدسة وكتاب نهج البلاغة

السيد نبيل الحسني الكربلائي

استهلال:

قال أمير المؤمنين الإمام علي في وصيته لولده الإمام الحسن (عليهما السلام):

«وإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالأَرْضِ الْخَالِيَةِ، مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْه، فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، ويَشْتَغِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الأَمْرِ، مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَه وتَجْرِبَتَه، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ، وعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ»[1].

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٣١ (ومن وصية له لولده الحسن عليهما السلام): ص٣٤٩.

توطئة:

أهتم القرآن والعترة النبوية الطاهرة(عليهم السلام) بالطفل والطفولة، ولقد ركز القرآن على جميع الجوانب الخاصة بهذه المرحلة، ابتداءً من انعقاد النطفة وانتهاء بمرحلة الرشد، ولقد سبق القرآن العلوم الحديثة في بيان خصائص الطفل والطفولة.

فمن حيث إن علم نفس الطفل، وعلم نفس النمو، وعلم النفس التكويني، وغيرها قد عدّ انعقاد النطفة، وتكوين الجنين في رحم أمه وهو ما يعرف بـ(البيئة الرحمية)[1] بداية لتكوين الخصائص النفسية للطفل: فرأى أن كل ما تعمله الأم أو تفكر فيه أو تشتهيه له تأثير مباشر على الجنين، رأى البعض الآخر: أن تجارب الأم لها تأثير قليل جدا على الجنين، في حين ذهب علماء الوراثة والمتخصصون في حياة الجنين إلى أن الصحة الجسمية والنفسية للأم تؤثر تأثيرا كبيرا في صحة الجنين، وقد كشف بعض الباحثين (عن أن الشهور التي تسبق عملية الحمل تقرر سلامة صحة الجنين)[2].

والسبق القرآني والنبوي لهذه الحقائق وغيرها بدا واضحاً لدى العترة الطاهرة فحثوا على العناية بالأم الحامل والإنفاق عليها وتخصيص بعض الأطعمة لها وإطعامها إياها كيما يتمكن الوالدان من الحصول على وليد يتميز عن غيره بالصحة الجسدية والنفسية.

ولقد انطلق القرآن في قضية الطفل من المراحل الأولى لتكونه وهي انعقاد النطفة

---

(١) علم نفس الطفل للدكتور محمد الريماوي: ص٣٧، نقلا عن (Witherspoonأ١٩٨٠).
(٢) المصدر السابق.

ونّبه إلى خطورة هذه المرحلة فقال عزّ وجل:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾[2].

والبلاء هنا ما يرد على الإنسان في رحم أمه وهو جنين وما يرد عليه بعد خروجه إلى الحياة الدنيا.

ثم أشار القرآن بعد ذلك إلى مرحلة الولادة وما بعدها، أي: الطفولة فرّكز على العناية بالصحة الجسدية من حيث الإرضاع الطبيعي وبين حدوده وما يترتب عليه من آثار تتدخل في بناء شخصية الإنسان.

ثم انتقل إلى الصحة النفسية وآثارها فبيّن أن الطفل الذي حُرم من أبيه يكون بوضع نفسي خاص وكي لا يتحول إلى إدارة ضارة في المجتمع حث على الاهتمام به والترغيب في رعايته والتكفل به، فقال عزّ وجل:

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[3].

وقال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٢ ـ ١٤.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢.

(٣) سورة الضحى، الآية: ٩.

«**أنا وكافل اليتيم كهاتين** ، وأشار بسبابته»[1].

ولكن كي يتمكن القارئ الكريم من الاطلاع على تلك المناهج التربوية في الصحة النفسية والجسدية التي جاء بها القرآن الكريم وبينتها العترة الطاهرة مع ما تناوله المتخصصون في العلوم النفسية والتربوية قمنا بزيارة بيت فاطمة بضعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لننهل منه فما ضل من تمسك به.

وعلى الرغم من قلة الروايات التي تنقل لنا تلك الصوّر الحياتية لمرحلة الطفولة في بيت علي وفاطمة (عليهما السلام)، إلا أنها تغني الباحث والمرّبي عن الكثير مما ذهب إليه الماديون والمتخصصون، وذلك أن الباحث وإن كان يحمل من خصائص تسهم في الوصول إلى الحقائق إلا أنه يبقى قاصرا عن إدراك مكنونها؛ وذلك أن الله تعالى أودعه عند من خصهم بفضله، واصطفاهم على خلقه وزادهم بسطةً في العلم، فسبحان من سَنَّ السُنّة وأحصى كل شيء في إمام مبين[2].

(١) بحار الأنوار: ج٣٥، ص١١٧.

(٢) سورة يس، الآية: ١٢، وهو قوله تعالى: ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾.

المبحث الأول

الطفولة (Childhood)

المسألة الأولى: الطفولة في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم لفظ (الطفل) في موضعين قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[1].

وقال عزّ وجل:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2].

ومن خلال سياق الآيتين يظهر أن مرحلة الطفولة تبدأ منذ الولادة إلى بلوغ الأشد وهو الشباب لأن بلوغ الأشد لا يقتصر على النمو الجسمي بل على النمو العقلي وفي الشباب يكون الطفل قد أصبح راشدا، ولذلك تجد القرآن يقسم حياة الإنسان إلى ثلاث مراحل مرحلة الطفولة ومرحلة بلوغ

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٧.

الأشد ومرحلة الشيخوخة، وهذه المراحل هي مصب اهتمام علماء نفس النمو **Developnmtal Psychology**.

المسألة الثانية: الطفولة في الاصطلاح واللغة.

لقد فطن العرب إلى مراحل النمو حيث تبدأ عندهم بالجنين، فالوليد، أي: الطفل المولود لتوه، فالصبي أي: الطفل الذي لم يكمل سبعة أيام من حياته لاعتقادهم بأن صدغه لا يشتد إلا في تمام السبعة أيام، فالفطيم، فالجحوش وذلك عندما يغلظ وتذهب عنه ترارة الرضاع، فالدارج إذا دب ومشى، فالخماسي إذا بلغ طوله خمسة أشبار، فالغور إذا سقطت أسنانه اللبنية، فالمثغر، إذا نبتت أسنانه بعد السقوط فالمترع الناشئ إذا كاد يجاوز العشر سنين أو جاوزها، فاليافع المراهق إذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه[1].

والطفل لغويا: البنان الرّخص الناعم، وهو الصغير من كل شيء، وقال أبو الهيثم: الصبيّ يدعى طفلا حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم[2].

المسألة الثالثة: الطفولة في علم النفس.

(مرحلة من الحياة تمتد من الولادة إلى المراهقة، أي حتى الرابعة عشرة من العمر، لم يعد الطفل يعد بدافع من علم النفس، راشدا تنقصه المعارف والحكم بل فردا له ذهنيته الخاصة وتحكمه وقوانين خاصة في نموّه السيكولوجي، فالطفولة هي المرحلة الضرورية لتحويل الوليد راشدا، وكلما صعدنا في السلم الحيواني، امتدّ زمن الطفولة: ثلاثة أيام لدى خنزير الهند،

(١) علم النفس التكويني لصباح حنا مزهر: ج١، ص١٤.
(٢) لسان العرب لابن منظور: ج٨، ص١٧٤، مادة (طفل).

تسع سنوات لدى الشمبانزي، خمسا وعشرين سنة لدى الإنسان في رأي أرنولد جيزيل (١٨٨١ ــ ١٩٦١)، والموجود الإنساني بحاجة إلى هذه المدة الزمنية الطويلة ليفهم ويتمثل البنية الثقافية المعقدة التي ينبغي له أن يتكيّف معها، والواقع أن الإنسان يفقد في سن الرشد مرونته أو (قابليته للصيرورة) (إد.كلاباريد)، فالطفل يتعلم، ويبدع، ويجدّد، ويولّد التقدم بفضل مكتسباته إرث الأجيال الماضية: الطفولة، يقول جيزيل، خلاصة ومقدمة في وقت واحد).

ويميّز المرء، في هذه المرحلة الدينامية وذات الغنى الأقصى حيث النماء يتم في جميع المجالات معا، ثلاث مراحل كبيرة (كان علماء البيداغوجيا قد لاحظوها من قبل): الطفولة الأولى[1] من الولادة إلى السنة الثانية أو الثالثة، الطفولة الثانية من الثانية أو الثالثة حتى السادسة أو السابعة، والطفولة الثالثة التي تنتهي بالبلوغ ويتم نمو الطفل وفق سيرورة من التمايز التدريجي، فالنظام أحد الوقائع النفسية الأولى التي تتيح للطفل أن يتمايز من أمه ويجتاز أفضل الشعور بالواقعي، ويتوسع عالمه، مع ضروب التقدم المسجلة في المجالات النفسية الحركية (استعمال إليه، اكتساب وضع الوقوف والسير) واللفظية (كلمات، جمل) وتزداد اهتماماته وتتوطد فكرته، ويكتشف في السنة الثالثة شخصيته، التي يؤكدها مستخدما كلمة (أنا) ومعارضا الغير دون باعث، وانطلاقا من هذه المدة الزمنية تجري اكتساباته بإيقاع يزداد سرعة[2].

(١) المعجم الموسوعي في علم النفس لنور بير سيلامي، ترجمة وجيه أسعد: ج٤، ص١٥٦٠.
(٢) المعجم الموسوعي في علم النفس ، نور بير سيلامي، ترجمة وجيه أسعد: ج٤، ص١٥٦٠.

المسألة الرابعة: الطفولة في علم نفس الطفل (Childhood Psychology).

هي مرحلة عمرية من دورة حياة الكائن الإنساني تمتد من الميلاد إلى بداية المراهقة، ويشير فليب أريس في كتابه الطفولة في قرون **(Gen- 1962 teries of Childood)** إلى أن الطفولة مصطلح حديث نبية، فالأطفال في القديم كانوا يعيشون بيننا ويرتدون نفس الطراز من الملابس، وعليهم أن يتصرفوا كالكبار، ولم يكن معروفا أن للطفولة خصائصها وحاجاتها وأغراضها وفرصها كالخيال واللعب، فدورة حياة الكائن الإنساني كانت تنقسم إلى ثلاث مراحل: الرضاعة (**Onfancy**)، وما قبل البلوغ (**Preadulthood**)، والبلوغ (**Adulthood**)، ففي مرحلة ما قبل البلوغ يعد الفرد للعمل والإنتاج ويحمل المسؤولية، وهذا ما سيمارسه في مرحلة البلوغ.

ولذلك فإن علم نفس الطفولة يدرس سلوك الطفل وعملياته العقلية والانفعالية بمنهج علمي وصفيا كان أو تجزيئيا أو اكلينيكيا[1].

وقد تعامل المدرسيون ـ فلاسفة أوربا في القرون الوسطى ـ تعاملوا مع الطفولة من منظور فلسفي أو منظور ديني، فمن خلال المنظور الأول بحثوا في أصل المعرفة، هل المعرفة فطرية، أم مكتسبة؟ فإن كانت المعرفة فطرية بالمفهوم الأفلاطوني فالنفس كانت تعرف كل شيء وهي في عالم المثل وقبل أن تحل في الجسد ولكنها تنسى ما كانت تعرفه، ثم تبدأ باسترجاع ما نسيته ثم خلال ما تقع عليه عبر الحواس الخمس، فالتعلم عندئذ لا يكون سوى

(١) علم نفس الطفل ، رماوي: ص٤٥ و٤٨، نقلا عن (Santrock.J.W.,OP.CITP.15).

عملية تذكر، وبالتالي يلزم المربين إتاحة الفرصة للأطفال كي يتحسسوا ما حولهم من مثيرات حتى تسترجع النفس ما كانت قد نسيته.

أما إن كانت المعرفة مكتسبة بالمفهوم الأرسطي فإن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء، والمربي ينقش على هذه الصفحة البيضاء ما يشاء، وعليه يكون التعلم متدرجا تبعا لإمكانيات الطفل الجسمية والعقلية.

ومن خلال المنظور الثاني - أي الديني - فقد بحثوا في أصل الطبيعة الإنسانية، هل الإنسان خيّر بالفطرة أم شرير بالفطرة؟ ففي وجهة النظر الأولى يترتب عليها المطالبة بتدعيم هذه الخيرية وحماية الطفل من الانحراف عنها، ووجهة النظر الثانية تطالب بدراسة الكتاب المقدس وإكساب الطفل الخبرة الدينية[1].

وقد برزت بعض الأسماء في دراسة ميدان الطفولة منهم جون لوك **(John Lock 1693)**.

أكد جون لوك على أن الطفل يولد وهو صفحة بيضاء، وإن المعرفة تكتسب من خلال الخبرات الحسية، وإن تربية الحدث الناشئ فرصة أمام المجتمع لتعليمه الحكمة والفضيلة، ومن هذا المنطق يعطى التدريب أهمية أكبر من اكتساب المعرفة والمهارات، ولذلك نادى بضرورة تكوين عادات جديدة عند الطفل مع قمع نوازعه الطبيعية التي تنسجم مع تلك العادت، وبناء على ذلك فان المجتمع الذي تسود فيه وجهة النظر هذه يسعى الكبار فيه إلى خلق مواقف يستطيع الأطفال من خلالها أن يتعلموا معايير السلوك

(١) علم نفس الطفل ، رماوي: ص٤٦، (IBID P.).

التي يفضلها المجتمع، كما ترفض وجهة النظر هذه أية قدرات أولية أو فروق مزاجية أو أسس يمكن أن نتنبأ بواسطتها عن الفروق الفردية في السلوك الذي قد يكون نتاج الخصائص الوراثية أن الأطفال قد يتصرفون بنفس الطريقة إذا تعرضوا لنفس الظروف البيئية والأكثر من ذلك فإن وجهة النظر هذه تفترض بان نفس البيئة المثالية سوف تكون مناسبة لجميع الأطفال.

جان جاك روسو **(J.J.Rousseau 1712 – 1778)**

يرى روسو أن الطفل خير بطبيعته منذ الولادة وأنه يتعلم بطريقة أفضل إذا أتيح له أن ينمو حرا طبقا لما تقتضيه حاجاته، ولذلك نادى بإعطاء الطفل حريته المطلقة للتعبير عن نوازعه الطبيعية وتنمية قدراته ومواهبه، وأن الطفل يتعلم بالقدرة الحسنة والممارسة والتجربة وقد أكدت نظريته على أهمية النمو والحرية والدافع، والنشاط في عملية التعلم.

وإضافة إلى هؤلاء ظهرت دراسات كثيرة لباحثين في ميدان الطفولة، مثل بستالوزي (1827 – 1782 **Pestalozzi**) الذي يعدّ من مؤسسي المدرسة الابتدائية بصورتها الحديثة وفروبل (1852 – 1782 **Froebel**) ويعدّ من الرواد الأوائل الذين اهتموا بتربية الطفل، وهو أول مؤسس لرياض الأطفال، وقد أكد على أهمية النشاط واللعب في تنمية النواحي الروحية والخلقية.

ومن الأسماء اللامعة في هذا المجال أيضا:

ألفرد بينة **(A.Binet)** وقد اهتم بالنمو العقلي للأطفال ووضع عام ١٩٠٤ أول اختبار لقياس الذكاء.

وفي سيكولوجية الطفولة المبكرة وهو كتاب لوليم شتيرن (1914 **W.Stern**)

بحث فيه المؤثرات السيكولوجية في بداية مرحلة الطفولة،[1]، ويضاف إلى تلك الأبحاث والدراسات ما قدمه علماء النفس أمثال (ستانلي هول) و (هافجهرست **Havighurst**) و(بياجية **Piaget**) و (أريكسون **Erickson**) و(كولبرج **Kohlberg**)، وعلماء مدرسة التحليل النفسي، وعلماء الاجتماع المهتمين بالتغير الاجتماعي، وكذلك نتائج الدراسات الأكلتيكية والتجريبية، أقنعتنا أن الطفولة مرحلة حياتية فريدة متميزة تتميز بأحداث هامة، فيها توضع أسس الشخصية المستقبلية للفرد البالغ[2].

وعند الرجوع إلى الثقلين (كتاب الله وعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم) لم نجد أن تلك النظريات قد جاءت بما هو جيد، فنظرية (جون لوك) إنما هي مستوحاة من قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون وأبواه يهودانه وينصرانه، ويمجسانه»[3].

فهو الحقيقة النبوية لنقول أن الطفل صحيفة بيضاء وأن ما ينقش جلها من المعارف يكون بالدرجة الأولى من النقاش وهما الوالدان.

وأن قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في تحميل الأب جميع الخصائص السلوكية والمعرفية سواء من خلال كونه الوسيط الوراثي

(١) علم النفس التكويني لصباح حنا هرمز ويوسف حنا إبراهيم: ص١٥ ــ ١٨؛ الاضطرابات النفسية عن الأطفال للدكتور موفق هاشم الحلبي: ص٩.

(٢) علم نفس الطفل للدكتور الريماوي: ص٤٦، نقلا عن: الأطفال مرآة المجتمع لمحمد عماد الدين، النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية.

(٣) المبسوط للسرخسي: ج١٠، ص٦٢.

أو الوسيط المعرفي كان مصدرا لما ذهب إليه جون لوك، وجاك روسو، فقال عليه السلام:

«ما زال المرء بأهله حتى يدخلهم جميعا الجنة، وما زال المرء بأهله حتى يدخلهم جميعا النار»[1].

فهذه الحقائق وغيرها سنتعرف عليها إن شاء الله من خلال مدرسة بيت فاطمة عليها السلام بضعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) عوالي اللآلي لابن أبي جمهور الأحسائي: ج١، ص٣٥، ح١٨؛ وجاء في هامش الكافي للكليني: ج٦، ص١٣، بهذا اللفظ: «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه».

المبحث الثاني

النمو اللغوي وكيفية اكتساب اللغة لدى الطفل

تعرف اللغة بأنها مجموعة من الرموز[1] تمثل المعاني المختلفة وهي مهارة اختص بها الإنسان واللغة نوعان: لفظية، وغير لفظية، وهي وسيلة الاتصال الاجتماعي والعقلي، وهي إحدى وسائل النمو العقلي والتنشئة الاجتماعية والتوافق الانفعالي، وهي مظهر من مظاهر النمو العقلي والحسي والحركي، ونحن نسمعها منطوقة ونقرؤها مكتوبة ونفهم لغة الإشارات وتحل اللغة قلب التفاعل الاجتماعي، ويعدّ تحصل اللغة أكبر إنجاز في إطار النمو العقلي للطفل.

والكلام صورة من صور اللغة يستعمل فيها الإنسان الكلمات للتعبير عن أفكاره، وهو الأصوات التي تخرج من فرد ويفهمها شخص يسمعه، والكلام مزيج من التفكير والإدراك والنشاط الحركي.

ويلاحظ أن الاستعداد للكلام فطري، أما اللغة التي يصب فيها الكلام فمكتسبة[2].

المسألة الأولى: كيف يكتسب الطفل اللغة؟

يكتسب الطفل لغته من خلال التعرض للغة وحياته اليومية معا، ويبدو أن التعرض للغة من خلال التحدث مع الطفل أقدر على الإسراع في اكتسابه إياها، ولكن سماع اللغة يؤدي إلى تعلمها حتى ولو لم يمارس الطفل الكلام

---

(١) علم نفس الطفل، حمد الريماوي: ص١٥٠.

(٢) علم نفس النمو ، الدكتور حامد عبد السلام زهران: ص١٤١.

ولكن عملية التعلم تكون بطيئة، ويختلف العلماء في الكيفية التي يكتسب بها الطفل اللغة، فبعضهم يؤكد على أن اللغة غريزية بينما يشير البعض الآخر إلى دور التعلم في اكتساب اللغة، بينما يركز آخرون على كلا العاملين، وفيما يأتي النظريات التي كتبت حول هذا الموضوع.

ألف: النظرية الفطرية

ترى هذه النظرية أن الطفل السوي يكون مهيئا للكلام من الناحية البيولوجية لتعلم أي لغة بشرية بسهولة، وإن اللغة نظام معقد من القوانين غير متعلم بطرائق التعلم التقليدية ويرى (جومسكي) أن الجهاز العصبي البشري يحوي تركيبا عقليا يتضمن مفهوما غريزيا عن لغة البشر، **(Chomsky)**، وتدّعي جماعة هذه النظرية أن السمات العامة والمألوفة لجميع البشر غريزية، وقد استهوت هذه الآراء علماء النفس التجريبي ولقيت إقبالا لديهم.

ويفترض **لينبرج (Len Berge 1961)**، أن القابلية لإنتاج اللغة هي خاصة من خصائص البشر الموروثة، وتستند اللغة إلى مؤثرات بيولوجية آلية، وأن مراحل اكتساب اللغة تحدث لدى[1] الأطفال الأسوياء بنسق ثابت ومنتظر في جميع أنحاء العالم، كما تحدث بنفس المعدل تماما رغم التباين البيئي والثقافي، فالأطفال في كافة أنحاء العالم ينطقون كلمتهم الأولى قبل نهاية سنتهم الأولى تقريبا وتعد هذه العملية المنسقة كما لو كانت مرتبطة بالنضج البيولوجي بنفس الطريقة التي يحدث فيها نضج مراحل تعلم المشي[2].

(١) علم النفس التكويني ، صباح حنا هرمز ويوسف حنا إبراهيم: ص ١٩٦ ـ ١٩٧.
(٢) علم النفس التكويني: ص١٩٧.

باء: نظرية المحاكاة (Imitation Theory)

يرى أصحاب هذه النظرية أن الطفل يكتسب اللغة من خلال محاكاة الطفل لما ينطق أبواه أو المحيطون به، وقد أكد (بريير ١٨٩٤) منذ قرن مضى أن المحاكاة أهم عامل في تعلم اللغة وأنها المرحلة الحساسة في هذا التعلم وتؤكد (مكارتي) أن المحاكاة تظهر لدى الغالبية من الأطفال بعد الشهر التاسع من العمر.

وتدل نتائج الدراسات ما يناقض هذه النظرية، فقد بينت أن الطفل عندما يسمع جملة فإنه لا يكررها يسمعها أو يقلدها[١].

وقد وجد (سلوبن وولش، ١٩٧٣) أن الطفل لا يستطيع أن يقلد الجمل التي نطقها هو نفسه لذلك لا نستطيع أن نقول إن هذه النظرية ناجحة في تفسير الكيفية التي يكتسب بها الطفل لغته، وتفشل النظرية في تفسير أسباب محاكاة الطفل لأبويه كما أنها لا تشير إلى الميكانزمات النفسية والبيولوجية التي تعمل على اكتساب اللغة في طريق المحاكاة[٢].

جيم: نظرية التحليل النفسي (Psychoanalytic theory)

تؤكد على عامل اللذة المشتقة من المرحلة الفمية والتي تضفي على أشخاص معينين يحيطون بالطفل ويكونون موضع حبه، وبذلك تشير (أنا فرويد) أن اللغة ترتقي عند الطفل في السنتين الأوليين بزيادة حصول الطفل

---

(١) Ervin 1984.

(٢) دراسات في علم النفس في الأقطار الاشتراكية لموفق الحمداني؛ ومنه: علم النفس التكويني لصباح حنا: ص١١٩٧ ــ ١٩٨؛ وتناوله بالمزيد من البحث الدكتور الجسماني في كتابه (الطفل السوي): ص١٧٨ ــ ١٩٣.

على اللذة بسبب تزايد الضوضاء والألحان وصور التلفظ الأخرى التي يعملها الطفل.

أما العامل الآخر فهو حاجة الطفل للتعبير عن نفسه إلى أشخاص يحبهم في العالم الخارجي ويريد الاتصال والتفاهم معهم وهذه هي اللذة الآتية من الغير، كما يؤكد جماعة التحليل النفسي على العامل البيئي وبخاصة في المدة الأولى من حياة الطفل إلى آخر السنة الثانية حيث يكون اعتماد الطفل على أبويه، وهذه مرحلة مهمة في اكتساب اللغة[1].

دال: نظرية التعلم الشرطي (**Conditioned Learning Theory**)

يعد التعزيز أهم عنصر في هذه النظرية، والتعزيز هو الإثابة التي يحصل عليها الفرد أو أية نتيجة ترفع أو تزيد احتمال ظهور السلوك فعندما يحصل الطفل على الإثابة لنطقه الأصوات المتعارف عليها في اللغة فإن الطفل يكرر نطقها ويواصل تحسين استجابته اللغوية.

ويفترض أصحاب هذه النظرية أن التعزيز الثانوي يلعب دورا مهما في تنمية اللغة، فكلام الأم يرتبط مع عملية الإرضاع فيصحب صوت الأم وكلامها معززا ثانويا، ويفسر أصحاب هذه النظرية اكتساب الطفل لمعاني الكلمات على أساس نفس المنطق، فيعلم الطفل قول (باب) عندما يظهر الأب، وبتكرار نفس الموقف عددا من المرات مع مصاحبات أخرى تجد

(١) علم النفس التكويني ،صباح حنا: ص١٩٨؛ نقلا عن: ارتقاء اللغة عند الطفل ، صالح الشماع؛ تطور اللغة عند الطفل ، عبد الرحمن صالح: ص٥٥ ــ ٥٨.

لطفل لا يقول (باب) إلا عندما يظهر الأب)[1].

وتفسر المدرسة السلوكية[2] ارتباط الكلام ذي الدلالة والفهم بمدلولاتها على أساس الفعل الشرطي.

وقد قام (أحد الباحثين وزوجته) بعرض مصاحبة اللبن على طفلهما في الشهر الخامس والنصف وقالا له (دا) وبعد حوالي عشرين يوما وبتكرار العملية يوميا أخذ مجرد ظهور المصاحبة وبدون الحافز السمعي يكفي ليلفظ الصوت (دا) وهكذا تتكون اللغة، حسب نظرية السلوكيين.

ويعد رأي (ماورو **Mawrew**) من الآراء السديدة لتفسير اكتساب الطفل للغة ـ فطبقا لنظرية (ماورو) يلذ للطفل أن يسمع نفسه ويكرر صوته، وعندما تقوم الأم بالعناية بالطفل وتحدث بعض الأصوات التي ينتبه لها الطفل ثم يقوم بالربط بين هذه الأصوات وحاجاته التي تعنى بها الأم ويحاول تقليدها ويشعر بالرضا والسرور فيكررها ثانية ويؤكد (ماورو) على التكرار والمكافأة التي تحسّن استجابات الطفل اللغوية، ويعد عامل العمر هاما في تعلم اللغة والطفل الذي يترك دون تعلم الكلام حتى السادسة أو السابعة من العمل نادرا ما يستطيع تعلم الكلام بطريقة طبيعية[3].

(١) علم النفس التكويني: ص١٩٨.

(٢) تطور اللغة عند الطفل، عبد الرحيم صالح: ص٤٧ ــ ٥٤؛ علم نفس الطفل، محمد الرحاوي: ص١٩٣.

(٣) علم النفس التكويني: ص١٩٨ ـ ١٩٩.

المسألة الثانية: للنبي صلى الله عليه وآله وسلم طريقة في اكتساب اللغة لدى الطفل.

بعد هذا العرض لنظريات اكتساب اللغة، عدنا لبيت بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء عليها السلام لنرى المنهاج الذي اتبعه أهل هذا البيت عليهم السلام في تعليم أطفالهم اللغة وكيفية اكتسابها.

روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده إلى الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في الصلاة وإلى جانبه الحسين، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يحر الحسين التكبير، ثم كبر رسول الله، فلم يحر الحسين التكبير، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكبر ويعالج الحسين التكبير فلم يحر حتى أكمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبع تكبيرات، فأحار الحسين عليه السلام التكبير في السابعة».

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«فصارت سنة»[1].

نقاط البحث في الحديث وهي كالآتي:

أولاً: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

(١) علل الشرايع للشيخ الصدوق: ج٢، ص٣٢٢؛ التهذيب ، الشيخ الطوسي: ج٢، ص٦٧؛ وسائل الشيعة ، الحر العاملي: ج٦، ص٢٠؛ البحار، المجلسي: ج٤٤، ص١٩٤، باب: محاسنه وأخلاقه؛ مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٣، ص٣٢٩.

من البديهيات التي ترافق العقيدة الإسلامية أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق في قول أو عمل إلا وكان مسددا من الوحي، ولذا فكل ما قاله أو فعله أو قرره وأمضاه فهو تشريع وبذلك جاء مفهوم لفظ (السنّة).

ولذلك لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينطلق من تكرار التكبير من ميول عاطفية أو رغبة خاصة لتعليم ولده كلمة (الله أكبر) إنما مفهوم السنّة يلزم بإتباع هذا الفعل النبوي لأنه مرتبط بالله عزّ وجل وما آتاكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخذوه. وهذا يعني أن الله عزّ وجل أراد هذا الفعل من نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في تكرار كلمة (الله أكبر) في هذا الوقت وفي هذه الحالة التعبدية وهي صلاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وعند الافتتاح والإذن لدخول الحرم الأقدس والعروج إلى ساحة الفيض والكمال واللطف الإلهي، فهذا الإحرام أراده العزيز الحكيم أن يكون حاصلاً في المرة السابعة حين نطقها الحسين عليه السلام فكان أحد المعاني لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**حسين مني وأنا من حسين**»[1].

ثانيا: فصارت سنّة

جعلت سنة لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل تكبيره قبل الدخول إلى الصلاة سبع تكبيرات فلعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصبحت سنة، هذا أولا.

ثانيا: يعني أيها المؤمن كي يتحقق لك العروج والإذن في ساحة اللطف

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ج٤٣، ص٢٦١.

الإلهي فعليك أن تحرم بهذه التكبيرات السبع.

ثالثا: الحديث يدل على أن عمر الإمام الحسين (عليه السلام) كان بين السنة الثانية والثالثة.

ذكر المتخصصون في علم نفس الطفل، وعلم نفس النمو: أن هذا الشكل المكون من نطق الطفل لكلمتين يبدأ من منتصف السنة الثانية إلى نهايتها، وقد تمتد إلى بدايات السنة الثالثة[1]، وتعرف هذه (الجمل) المكونة من كلمتين أو ثلاث بالجمل البرقية[2]، ويأتي التعبير سليما عند الأطفال لنطقهم هذه الكلمات من الناحية الوظيفية، أي يعبر بها الرضيع عن حاجاته الأساسية، ولكنها لا تكون سليمة من الناحية البنائية، أي: من ناحية التركيب اللغوي (القواعد)[3].

رابعاً: لماذا هذا التكرار من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكلمة؟ وما أثره على الطفل؟ وكيف يراها المتخصصون في العلوم الحديثة؟

يرى الباحثون في علم اللغة والمتخصصون في الاكتساب اللغوي: أن الأطفال مقلدون (جيدون) ونستنتج من ذلك أن المحاكاة واحدة من الاستراتيجيات المهمة التي يستخدمها الطفل في اكتساب اللغة، وليس هذا الاستنتاج بعيدا عن الدقة على المستوى العام.

فالذي لا شك فيه أن (الترجيع) يعد إستراتيجية بارزة في تعلم اللغة

(١) علم نفس الطفل، محمد الرياوي: ص ١٥٦.

(٢) أسس تعلم اللغة وتعليمها، دوجلاس براون، ترجمة: د.عبدة الراجحي: ص ٣٦، ط دار النهضة العربية بيروت.

(٣) علم نفس الطفل: ص١٥٦؛ علم نفس النمو، حامد زهران: ص١٤٣.

المبكرة، وبخاصة في الاكتساب المبكر للأصوات، وفوق ذلك كله فإن المحاكاة تعد أساسا من الأسس السلوكية للغة[1]، وهي أسس صالحة في المراحل المبكرة على أقل تقدير.

على أنه من المهم أن نسأل: أي نمط من المحاكاة؟

يذهب السلوكيون إلى أن هناك نمطا واحدا، لكن هناك ــ في الحقيقة ــ مستوى أعمق وهو أكثر أهمية في عملية اكتساب اللغة، أما النمط الأول فهو ما يعرف بالمحاكاة السطحية حيث يقلد الشخص العبارات السطحية مركزا اهتمامه على الأصوات لاعلى الدلالة، وهذا المستوى هو الذي يجعل شخصا كبيرا قادرا على ترديد أعداد لا نهاية لها من المقاطع التي لا تدل على معنى أو يقلد لغات لا يعرفها، ومن ثم فإن البحث الدلالي الذي يكمن تحت السطح لا يجد التفاتا ولا تمثلا، وهكذا فإن تدريبات الاستظهار ترتكز غالبا على المحاكاة السطحية في قاعة الدرس حيث يحاكي الطالب أصواتا دون أي فهم لما تحمله من معنى، نعم، قد تكون المرحلة الباكرة من اكتساب الطفل للغة مرتكزة على المحاكاة السطحية حين لا يكون على بينة من الفضائل الدلالية فينغمس في المحاكاة العميقة حتى إنه قد يلهيه عن البنية السطحية، ولننظر إلى المثال التالي بين أم وابنها:

(١) تعتمد نظريات اكتساب اللغة على اتجاهين، الأول: هو الاتجاه السلوكي ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأطفال يولدون صفحة بيضاء، بعقل لا يحمل أي شيء عن العالم ولا عن اللغة، ومن ثم فإن البيئة هي التي تشكلهم وتصوغهم بوسائل متنوعة من التعزيز، وأما الاتجاه الثاني فيزعم أن الأطفال يولدون بمعرفة فطرية معينة، أسس تعليم اللغة، هـ.دوجلاس براون ترجمة: د.عبده الراجحي: ص٣٦.

الطفل: أنا لم أكلت.

الأم: قل أنا ما أكلت.

الطفل: أنا لم أكلت (بعد مرات عديدة من التكرار)... .

الأم: الآن، انتبه جيدا، أنا ما أكلت.

الطفل: أنا لم ما أكلت.

ولك أن تتخيل الإحباط الذي يصيب الأم والطفل معا، لأن الأم هنا تلتفت إلى المستوى النحوي السطحي، أما الطفل فيبحث عن المعنى.

وقد كشف البحث أن الأطفال حين يطلب منهم أن يكرروا جملة ما، يكررون البنية العميقة مع ما يلزم من تغيير في البنية السطحية، لأن الطفل حين يردد الأنماط السطحية إنما ينهمك في البحث عن قيمة الصدق في الكلام لأنه يبحث عن المعنى[1].

خامساً: لماذا توقف تكرار الكلمة عند المرة السابعة؟ وشرافة العدد (٧)

قلنا في النقطة الأولى إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم (ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى) ولذلك لا يكون هذا التكرار عن فراغ ولا يكون ستة أو ثمانية، والعلة فيه على الظاهر أن للعدد (٧) شرافة على بقية الأعداد، إذ ظهر من ألطاف حكمة الله عزّ وجل أن السموات سبع والأرضين سبع، وأن أبواب الجنة سبع، وأبواب النار سبع، وأيام الأسبوع سبعة، ومراحل النمو والتكوين الجنيني يحسب على الأسابيع، وللمولود

(١) أسس تعلم اللغة وتعليمها: ص٤٩ ـ ٥٠؛ تطور اللغة عند الطفل: ص٥٥.

مراسيم خاصة في اليوم السابع من عمره، كالعقيقة والتسمية والحلق، والختان، وللمتوفى ذكر وقراءة للقرآن عن روحه في اليوم السابع، وغيرها من الحقائق والسنن الكونية التي جرت حكمة الله عزّ وجل في سنها.

ولذا يكون تلفظ الإمام الحسين عليه السلام لـ(الله أكبر) بعد تكرارها من سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم سبع مرات له دلالة على إشراق الذات الحسينية وانطلاقها إلى تحقيق التكبير بعد جده، والحال هو كمن يريد الدخول إلى عالم الحاسوب فعليه أن يستخدم أحرفاً وأرقاماً معينة، أو كمن أراد الوصول إلى شخص ما فلابد له من حفظ وتكرار أرقام معينة تخص هاتفه أو بريده.

وهنا ــ ولله المثل الأعلى ــ هذه الانطلاقة الحسينية في إقامة العدل والحق وإزاحة الظلم كانت من خلال الوحي وعلى يد سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم وفي حالة الصلاة، ولذا بدأ حياته عليه السلام بالتكبير وختمها وهو على رمضاء كربلاء صريعا يردد (الله أكبر).

المبحث الثالث

مرحلة المناغاة وأثارها المعرفية والأدراكية على الطفل

اعتاد الباحثون في ميدان الطفولة تقديم مرحلة المناغاة على مرحلة اكتساب اللغة ضد الطفل، والسبب أن المناغاة تبدأ عند الطفل في الأسبوع الثالث والثامن بينما يكون الكسب اللغوي بعد منتصف السنة الثانية كما أسلفنا.

والسبب الذي جعلني أؤخر هذه المرحلة لوجود أحاديث تروي عن كيفية تعامل النبي الأكرم مع ولديه الحسن والحسين عليهما السلام في هذه المرحلة إضافة إلى ترديد الزهراء عليها السلام لأبيات تحاكي فيها ولديها وتنقزهما وهي بذاك تغذيهما أموميا ولغويا.

المسألة الأولى: ما هي المناغاة (Babbling)؟

تتطور الأصوات من صيحات إلى أنغام يرددها الطفل في لعب صوتي ثم يستطرد في تنغيمه حتى يكتشف بنفسه جميع الدعائم الصوتية لأية لغة يتحدث بها النوع الإنساني. والمناغاة صوت أو مجموعة أصوات تصدر عن الطفل في الأسبوع الثالث والثامن، وتستمر حتى نهاية السنة الأولى عندما ينطق الطفل كلمته الأولى.

وتظهر المناغاة عندما تصبح المراكز العليا صالحة التوافق مع العضلات اللفظية ويصبح الطفل قادرا على اللغة اللفظية فيتمرن السيطرة على الأصوات واجدا فيها لذته، والمناغاة بشكل من أشكال الترويض اللفظي التلقائي[1].

(١) علم النفس التكويني لصباح حنا: ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

وتذكر (هيرلوك **Harlock**) في كتابها (نمو الطفل) أنه عند الشهر الثالث أو الرابع يأخذ الطفل في السيطرة على مجرى الهواء في حباله الصوتية فيبدأ بإصدار أصوات تأتي في الغالب بشكل تلقائي عشوائي وليس من السهل استدعاؤها أو تسجيلها.

ومن هنا ترى (مكارتي **Mccarthy**) أنه من الصعب دراسة هذه الأشكال، وقد لوحظ أن الأصوات التي يصدرها الأطفال في هذه المرحلة تكون على نفس الشاكلة بغض النظر عن الثقافة أو العرق أو المكان الجغرافي الذي ينتمي إليه الطفل، فالأصوات الأنفية في اللغة الفرنسية والأصوات الحلقية في اللغة العربية والألمانية مما لا وجود لها في اللغة الإنجليزية، ينطق بها الأطفال سواء أكانوا ألمانا أم إنجليزا أم فرنسيين أم عربا[1].

وتدلنا هذه الدراسة بأن الطفل قبل أن يتكلم لغته القومية ينطق كل الأصوات اللغوية سواء كانت موجودة في لغته أم لا، وأنه يستطيع نطق أصوات لا يتمكن من نطقها في المستقبل بعد أن يتعلم لغته القومية لأن بعض هذه المقاطع والأصوات تختفي عندما تستغني عنها لغة الأم[2].

أولاً: أنواع المناغاة

١ــ المناغاة العشوائية: تتضمن أصواتا لا معنى لها يكررها الطفل وينطق بها بطريقة عشوائية.

٢ــ المناغاة التجريبية: هي امتداد للمرحلة السابقة، يحاول الطفل تكرار

(١) علم نفس الطفل : ص١٥٣.
(٢) علم النفس التكويني: ص٢٠٣.

الأصوات التي يصدره، ويختار بعضها ويعيدها، وكأنه في هذه المرحلة يقوم بتجريب أنواع من الأصوات التي تصدر منه، والتمرن عليها، وأن سرور الطفل مما يحصل عليه من نتائج في المناغاة التجريبية يشجعه على تقليد حركات من يسمعهم، ويضطره هذا التقليد إلى إجادة الاستماع والانتباه إلى كل صوت[1].

ثانيا: مناغاة الزهراء للحسن والحسين عليهم السلام

ولهذه الخاصية كانت فاطمة الزهراء عليها السلام تنغز ولدها الحسن عليه السلام وتنشده قائلة:

أشبه أباك يا حسن ... واخلع عن الحسن الرسن

واعبد إلها ذا منن ... ولا توال ذا الإحن

وتقول للحسين:

أنت شبيه بأبي ... لست شبيهاً بعلي[2]

وكان الحسين يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العنق إلى البطن[3].

وهذه المحاكاة والمناغاة مع ما مرّ من بيان في عملية الاكتساب اللغوي ليفيد أن الزهراء عليها السلام كانت لتنمي العملية اللغوية لدى الطفل وتثبت المعنى الأخلاقي لما يسمعه الطفل من كلمات.

---

(١) علم النفس التكويني: ص٢٠٤.

(٢) المصدر السابق؛ وأخرجه أحمد في مسنده: برقم ٢٦٤٨٤.

(٣) جامع الترمذي: كتاب المناقب، حديث رقم ٣٧٧٩.

وقد أكد الباحثون في علم نفس الطفل أن وجود الكبار من حول الطفل ليكونوا هم مصدر الصوت ضرورة لازمة، بتعبير آخر أن الوسط الاجتماعي ضروري جدا كي يخطو الطفل الرضيع خطواته الأولى نحو إنتاج الكلام[1].

فكيف إذا أضيف إلى الكبار عامل سماوي اقتضته البيئة الخاصة لبيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان من ضروريات هذه البيئة وجود جبرائيل عليه السلام!

وكيف سيكون أثر الوحي على مناغاة أبناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعلمهم وترديده لتلك الأصوات التي يتلفظها روح القدس وهي تطرق أسماع النبوة.

المسألة الثانية: جبرائيل عليه السلام يناغي الحسين عليه السلام

روى العلامة المجلسي رحمه الله في بحاره، قائلا: روي في بعض الكتب المعتبرة عن الطبري عن طاووس اليماني، أنّ الحسين بن علي عليهما السلام كان إذا جلس في المكان المظلم يهتدي إليه الناس ببياض جبينه ونحره، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان كثيرا ما يقبل جبينه ونحره وأن جبرائيل عليه السلام نزل يوما فوجد الزهراء عليها السلام نائمة والحسين في مهده يبكي فجعل يناغيه ويسليه حتى استيقظت فسمعت صوت من يناغيه، فالتفتت فلم تر أحدا فأخبرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان جبرائيل عليه السلام[2].

---

(١) علم نفس الطفل: ص١٥٤.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي رحمه الله: ج٤٤، ص١٨٧، باب فضائلهما.

لو تأملنا بهذا الحديث وإلى ما أشار إليه المتخصصون في دراسة الطفولة وإلى أثر البيئة والوسط الاجتماعي في دفع الطفل إلى أن يحذو خطواته الأولى في إنتاج الكلام، فمما لا شك فيه أن الطفل الذي ينمو في بيئة روادها الملائكة وحديثها الوحي، يكون قد حمل من المعاني والمفاهيم مما لا يحمله أحد غيره، وهو ما يعرف بـ (البناء المعرفي **Cognitive Stureture**)[1].

وإذا تأملنا قليلا بهذه المناغاة القدسية كيف يمكن أن تكون؟ هل هي مجرد أصوات أو كلمات؟ وهل يتكلم روح القدس بغير الذكر الإلهي؟ وهم: ﴿**عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[2].

وإذا كان نفس روح القدس تنبثق منه الحياة، فكيف بتلك الكلمات؟!

إني أرى أن الأمر لم يكن محض صدفة ينزل فيها جبرائيل عليه السلام وهو المنقاد لأمر ذي العزة والجلالة، ولم يكن جبرائيل عليه السلام يناغي الحسين عليه السلام عن رغبة منه، فهو من قوم لا يعصون الله طرفة عين.

إذن:

هو إعداد خاص لهذا المولود ومنذ الأشهر الأولى والسنين الأولى، لانّه مشروع شهادة صاغته يد القدرة الإلهية، ودعته حوامل الفيض الأقدس،

(١) تفكير الأطفال ، الدكتور يوسف قطامي: ص٧٦؛ ويقصد بالبناء المعرفي: الوحدة المعرفية التي تتطور لدى الطفل نتيجة احتكاكه وتفاعله مع البيئة، أو الظروف الاجتماعية التي ينتج عنها من جراء ذلك كلمة أو مصطلح أو مفهوم، ويتكون البناء المعرفي للطفل من مجموعة هذه البنى التي تشكل البصمة المعرفية التي تميزه عن غيره، والتي تعدّ متميزة في خصائصها وفي مضامينها، ومعانيها، ومدلولاتها، وصعوباتها، وحسيتها وتجريدها.

(٢)سورة الأنبياء، الآية: ٢٦-٢٧.

كـي يكـون في يـوم عاشـوراء صـورة تحاكـي الإنسـانية بـكلام يشـد القلـوب السـليمة، وترتعـد منـه فرائـص الظالمـين.

المبحث الرابع

اللعب وأثاره على الطفل في نمو النواحي العقلية والمعرفية والجسمية والاجتماعة

يمثل اللعب خبرة رئيسية في نمو الطفل في مختلف نواحي الشخصية، إذ باللعب تنمو النواحي العقلية المعرفية، والاجتماعية، والانفعالية، والجسمية، وتشكل خبرة اللعب خبرة ذاتية في المراحل الأولى، إذ يطور الطفل في بداية سنوات عمره محاولات، يحاول من خلالها اكتشاف البيئة، والاحتكاك بها للتعرف عليها، وعن طريق ذلك يكتسب الطفل مفهومه عن ذاته ويطور فهما ولو بسيطا عن إمكاناته، عن طريق ما يستطيع الوصول إليه، والحصول عليه، وعن طريق ما يستطيع نقله وتغييره، وحله وتركيبه، ولمسه وتذوقه وتحسّسه، ويطور الطفل هذه الفكرة المعرفية عن طريق توظيف قنوات الحس التي تعمل كالاسفنجة، في مجال إدراك واستيعاب الخبرات[1].

واللعب له أهميته النفسية في التعليم وتشخيص العلاج، ويعد اللعب من أهم وسائل الطفل في تفهمه للعالم من حوله، وهو إحدى الوسائل الهامة التي يعبر بها الطفل عن نفسه ويعده البعض مهنة الطفل[2].

ويسهم اللعب في تنمية الجانب الذهبي في شخصية الطفل، ويتم ذلك عن طريق نمو الوظائف المعرفية مثل: الإدراك، والذاكرة، والتفكير، والتخيل، والكلام، والخيال، ابتداء بالوظائف المعرفية البسيطة وانتهاء بالأكثر تعقيدا

(١) تفكير الأطفال، يوسف قطامي: ص٧٦٩.

(٢) علم نفس النمو،حامد عبد السلام زهران: ص٢٧١.

حسب المرحلة النمائية التي يمر بها[١].

إن الأهمية الكبرى للعب في حياة الأطفال الصغار، وتنوع الألعاب عند هؤلاء الأطفال وأولئك وتشابهها لدى أطفال من شتى البلدان وفي مختلف المراحل التاريخية، كل ذلك دفع العديد من العلماء للبحث عن تفسير طبيعة هذا النشاط الطفولي المدهش[٢].

المسألة الأولى: النظريات التفسيرية للعب الأطفال

١ . نظرية الطاقة الزائدة

حيث ينظر إلى اللعب على أنه تنفيس غير هادف للطاقة الزائدة عند الفرد[٣]، فلما كانت هذه الطاقة لا تنفق في العمل فقد تجلت في اللعب، وأصحاب هذا التفسير كل من ك.شلروغ، سبنسر[٤].

٢ . النظرية الغريزية

ويقول أصحابها إن بعض الغرائز لا تتضح دفعة واحدة ولكن بالتدريج وعلى هذا يكون التعبير عنها أو إشباعها في شكل لعب يتيح فرصة تهذيب وتدريب وممارسة الأنشطة الغريزية الضرورية في حياة الرشد والنضج قبل نضجها، ومن القرن الماضي قال (**غروس Groos**) إن الغريزة معلمة بعيدة النظر تعمل حساب المستقبل فتعلم الطفل عن طريق اللعب أن يعد نفسه[٥]،

(١) تفكير الأطفال، يوسف قطامي: ص٧٦٩.
(٢) علم نفس الطفل، أ.أ.لوبلينسكايا، ترجمة: بدر الدين عامود، علي منصور: ص١٥٢.
(٣) علم نفس النمو، حامد عبد السلام: ص٢٧١.
(٤) علم نفس الطفل، أ.أ. لوبلينسكايا: ص١٥٢.
(٥) علم نفس النمو: ص٢٧٣.

بمعنى: أن اللعب يؤدي إلى تطوير القدرات الحسية والحركية ومن ثم القدرة على بناء علاقات اجتماعية مع الآخرين[١].

٣. نظرية التلخيص

وتفترض أن كل طفل يكرر تاريخ الجنس البشري في لعبه، وتعد نشاط اللعب ملخصا للعادات الحركية للجنس البشري في ماضيه حتى حاضره، يقول أصحاب هذه النظرية أنظر إلى الطفل وهو يعوم وهو يبني الكهوف وهو يتسلق الأشجار...الخ.

إنه يلخص ما كان يعمله أجداده[٢].

٤. نظرية تجديد النشاط باللعب وحصول السرور

حيث ينظر إلى اللعب على أنه وسيلة لتجديد النشاط والترقية[٣]، وأكد ك.بيولر، بأن مغزى اللعب يكمن في السرور الذي يجلبه للطفل، غير أن السبب الذي يولد شعور الأطفال بالسعادة يبقى مجهولا تماما[٤].

نظرية التخلص من الشعور بالنقص: وصاحبها فرويد، إذ يرى أن الطفل يندفع إلى اللعب نتيجة معاناته الشعور بالنقص فانعدام قدرته على أن يكون طبيبا أو سائقا أو مربيا بشكل فعلي يدفعه إلى القيام بهذا الدور باللعبة، وفي هذه الحياة الخيالية (وخيال) الطفل عن أهوائه ورغباته[٥].

---

(١) أولادنا، رتيا مرهج: ص١٠٦؛ علم نفس الطفل، أ.أ. لوبلينسكايا: ص١٥٢.
(٢) علم نفس النمو: ص٢٧٣.
(٣) المصدر السابق.
(٤) علم نفس الطفل: ص١٥٢.
(٥) علم نفس الطفل: ص١٥٢.

ويبدو أن (بياجية) لم يعجبه هذا الرأي لفرويد فتجاهل هذا البعد النفسي، ورأى: (أن اللعب جزء لا يتجزأ من عملية التطور الذهبي الطبيعي عند الأطفال: ففي السنة الأولى يأتي اللعب على شكل تدريب وتكرار لبعض النشاطات التي يجد فيها المولود لهذه معينة، ومن ثم يصبح اللعب رمزيا، أي: إن الطفل يمنح الأشياء المحيطة به صفات مختلفة من مخيّلته (فالمكنسة تصبح حصانا، والكرسي يصبح سيارة) ومن خلال التدريب والتكرار واللعب الرمزي تتطور القدرات الفكرية وتزداد المفاهيم، ويبرز في العام الثالث اللعب المبني على التمثيل (يمثل الطفل أنه يشرب العصير من كوب وهمي) فينتقل من اللعب المنفرد إلى اللعب الثنائي[1].

ورأى بياجية أيضا: (أن اللعب عملية تمثل، تعمل على تحويل المعلومات الواردة لتلائم حاجات الفرد، فاللعب والتقليد والمحاكاة جزء لا يتجزأ من عملية النمو العقلي والذكاء، وقد افترض بياجية كذلك أن اللعب وسط بيني مناسب، يسهم في تطوير الأبنية المعرفية لدى الطفل، إذ عن طريق اللعب، الطفل وتفاعله مع البيئة يطور لغته، وتراكيبه اللغوية، والمفاهيم الحسية والعلاقات الاجتماعية[2].

المسألة الثانية: منهاج العترة النبوية في لعب الأطفال

أولاً: المرحلة العمرية وما يناسبها من احتياجات تربوية ومعرفية ونمو فكري وجسدي

انطلقت العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام في المنهاج النظري والعملي

(١) أولادنا، ريتا مرهج: ص١٠٦ ـ ١٠٧.
(٢) تفكير الأطفال: ص٧٦٩ ـ ٧٧٠.

في لعب الطفل إلى القرآن الكريم وإلى ملازمة جبرائيل عليه السلام لهذا البيت وأهله، ولما كان يضفيه على ولدي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وريحانتيه من سرور ومباشرة لبعض لعبهم كما سيمر علينا، إضافة إلى مباشرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه على لعب ولدي فاطمة عليها السلام بضعته وروحه التي بين جنبيه.

ولذا كان عرضنا لما سبق من أقوال العلماء والمتخصصين في دراسة الطفولة من باب اطلاع القارئ الكريم على حقيقة النعمة التي أنعم الله بها على المسلمين والناس أجمعين؛ إذ بعث فيهم نبي الرحمة فسن السنن وخط المناهج التي من تمسك بها لن يضل من بعده وقد أعلن عن ذلك مرارا، مبشرا ومنذرا:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا من بعدي»[1].

وكيما يلمس المحب للمعرفة ولتطوير العلوم وتفرعاتها، الأثر الذي يقبله عقله ويأنس به قلبه، ذكرنا آراء العلماء في هذا الخصوص، ثم سنورد عليه المنهاج النبوي كي يعلم أن علاقته برسول الله وأهل بيته يجب أن تكون علاقة قوية ومتينة لا يخالجها الشك ولا يسرق حبه وميوله الأسماء البراقة هنا وهناك وتبعده عن الثقلين وقد ضمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى عدم الضلال لمن تمسك بهما، وهذا يلزم جميع جوانب الحياة الإنسانية في الدنيا والآخرة.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ، الشيخ الصدوق: ج١، ص٦٨.

ثانيا: دور اللعب في بناء النواحي الشخصية في منهج العترة النبوية

وردت أحاديث عن العترة في بيان أثر اللعب ودوره في بناء النواحي الشخصية للإنسان وهو في مرحلة التأسيس والنمو التكويني على كافة الجوانب الحياتية، العقلية والمعرفية والاجتماعية والنفسية والجسمية.

ولاعتبارات كانت تتعلق بالمستوى المعرفي للسائلين في ذلك الزمن كان أئمة العترة عليهم السلام يجيبون على قدر المستوى المعرفي للسائل، وكما هو معروف فإن نهجهم في ذاك نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، فلذا لم يرد بيان تفصيلي في هذا الخصوص.

واقتصر الأمر على الأصول فعدوا اللعب من أهم الأدوار التي يحتاج إليها الطفل ضمن مرحلة الطفولة المبكرة وهي (٣و٤و٥) وقسم من مرحلة الطفولة الوسطى وهي (٦و٧و٨)[١]، وقد ورد في الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام:

«دع ابنك يلعب سبع سنين»[٢].

وهذا اللعب كان مطلقا بما يتناسب مع المستوى المادي والثقافي للأسرة، وإن هذه المدّة الزمنية لكافية للإعداد التكويني للطفل ثم تبدأ مرحلة جديدة عند أئمة أهل البيت في البناء والنمو للكائن الإنساني ولكن دون لفظ (اللعب) لاعتبارات اجتماعية ترتبط مع المستوى البيئي والنفسي والثقافي لمجتمع الجزيرة خاصة والمجتمع العربي عامة، فكان (اللعب) يمارس لدى

(١) علم النفس التكويني ، صباح حنا: ص٦٨ و٧١؛ علم نفس النمو : ص٦٢.
(٢) بحار الأنوار: ج١٠٤، ص٩٥، باب فضل الأولاد.

الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة (٩ و١٠ و١١ و١٢ و١٣و١٤) من خلال ممارسة (الفروسية، والرماية، والسباحة)[١].

وهذه الموارد الثلاثة كانت تأخذ في نمو الإنسان على مختلف النواحي (العقلية، والمعرفية والاجتماعية، والنفسية، والجسدية، والأخلاقية) وهي في نفس الوقت حفظت القوانين الاجتماعية والعرفية لأهل الحجاز وغيرهم قديما وحاضرا.

ثم ينتقل منهاج أئمة العترة النبوية عليهم السلام في النمو الإنساني بشكل عام دون تحديد مدة معينة من مراحل النمو، بل كان منهاجا شمل المراحل الانتقالية الثلاث التي حددها الله عزّ وجل في محكم كتابه، وهي (مرحلة الطفل، مرحلة بلوغ الأشد، مرحلة الشيخوخة)[٢] ضمن خصائص وقوانين بيئية يخضع صاحبها لها فترسم على شخصيته تلك الآثار الخاصة بهذه البيئة.

المسألة الثالثة: منهاج الإمام علي عليه السلام في النمو الخَلْقي والخُلُقي للإنسان حسب المرحلة العمرية

قال عليه السلام وهو يوجه كلامه إلى أحد الآباء وقد سأله عن المنهاج الذي ينبغي عليه أن ينتهجه في إعداد هذا الكائن الإنساني الذي تربطه معه رابطة الأبوة وقد منّ الله عليه بنعمة الخلفة وحفظ النوع والنسل فلم يجعله أبتر، ثم هو يرى أنه مسؤول شرعا عن هذا المولود لقوله عزّ وجل:

---

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي: ج٦، ص٢٥٢.

(٢) وهو قوله عزّ وجل: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا**﴾، سورة غافر، الآية: ٦٧.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1].

ولهذا وذاك التجأ إلى أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين.

فأجابه عليه السلام:

«يربى الصبي سبعاً، ويؤدب سبعاً، ويستخدم سبعاً، ومنتهى طوله في ثلاث وعشرين وعقله في خمس وثلاثين سنة وما كان بعد ذلك فبالتجارب»[2].

وبهذا تنتهي مرحلة الإعداد والبناء التكويني للإنسان خَلقا وخُلقا.

فالسنين السبع الأولى ـ أي من الولادة إلى السنة السابعة ـ يعيش فيها الإنسان ضمن بيئة تشابه إلى حد كبير بيئة الملك، من حيث العناية الفائقة بالبدن والثوب، والغذاء الجيد واللهو واللعب، وتنفيذ الطلبات، ومجالسته ومحادثته والاستماع إليه، واحترامه والسهر عليه، وتهيئة كل وسائل الراحة، ولكن لا يخفى:

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾[3].

المهم أن يكون المغزى من ذلك هو العناية الخاصة للطفل منذ ولادته وإلى حين بلوغه السنة السابعة والتركيز على الجانب الحسي والنفسي والعقلي والمعرفي والعاطفي ضمن الحدود الشرعية، والمثل القرآنية.

حتى إذا أكمل هذه المرحلة يكون مهيّأً لما يرد عليه من آثار التنشئة الاجتماعية لبيئة يكون فيها الشخص المطيع، وهذه البيئة يمكن تمييزها

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٢) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ج٣، ص٣٩٤.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٧.

بعنصرين وهما (الصقل النفسي والأخلاقي)، و(طاعة الأب المربي)، ولا يتوهم أنه يراد به الإذلال والتنكيل والخدمة فهذا بعيد جدا لأن ذلك لا يتفق مع منهاج العترة في تطور النمو الأخلاقي.

والمنهاج التأديبي خلال هذه السنوات السبع الثانية أي من السنة السابعة إلى السنة الرابعة عشرة.

وعلى هذه الأسس يرى المتخصصون كبياجية **Piaget**)) أن النمو الأخلاقي يحدث بمرحلتين منفصلتين واضحتين.

أولا: مرحلة الواقعية الأخلاقية)Stage of Moral realism(

وفيها يتميز سلوك الأطفال في هذه المرحلة بالخضوع الأوتوماتيكي للقواعد الخلقية دون الاستدلال والحكم، يعد الأطفال الآباء والكبار الآخرين الذين يمثلون السلطة أفرادا مقتدرين، ولهذا يتبعون القواعد ويخضعون لها دون الاستفسار عن عدالة هذه القواعد.

في هذه المرحلة يصدر الأطفال حكماً خلقيا على الحدث أو الفعل بكونه صوابا أو خطأ على أساس النتائج المترتبة على الفعل، وليس على أساس النية أو القصد الكامن وراء الحدث.

فعلى سبيل المثال فإن أي عمل يعد (خطأ) بسبب نتائجه يعاقب عليه سواء من قبل الناس الآخرين أو من قبل العوامل الطبيعية أو العوامل الخارقة للطبيعة.

ثانيا: مرحلة الأخلاقية المستقلة)The Stage of Autonomous Motality(

إذ يصدر الأطفال أحكامهم الخلقية في هذه المرحلة على الفعل أو الحدث بكونه (صوابا) أو خطأً على أساس النية أو القصد، تبدأ هذه بين ٧و٨

سنوات من العمر وتمتد حتى عمر ١٢ سنة وما بعدها.

بين عمر (٧,٥ أو ٨) سنوات تبدأ مفاهيم الأطفال عن العدالة بالتغير، أن تصلب أو عدم مرونة الأفكار عن (الصواب) و(الخطأ) التي سبق وأن تعلمها عن طريق الوالدين تبدأ تدريجيا بالتحول وكنتيجة لذلك فالأطفال يأخذون بنظر الاعتبار الظروف التي ترتبط بالمخالفات الخلقية.

فعلى سبيل المثال، أن الطفل بعمر (٥) سنوات يدرك أن الكذب (خطأ) دائما، بينما الطفل بعمر أكبر من (٥) سنوات يدرك بأن الكذب يكون مبررا في بعض الحالات وعليه فلا يعد بالضرورة خطأ.

بالنسبة لوجهة نظر بياجية فإن المرحلة الثانية للنمو الخلقي، أي: (مرحلة الأخلاقية الذاتية) تتطابق مع مرحلة الإجراءات الشكلية في النمو العقلي المعرفي، فحينما يكون الأطفال قادرين على أن يأخذوا بنظر الاعتبار كل الوسائل الممكنة لحل المشاكل الخاصة، ويستطيعوا أن يعلّلوها على أسس افتراضية متوقعة، فإن ذلك يمكنهم من النظر إلى مشكلاتهم من وجهات نظر مختلفة مع الأخذ بنظر الاعتبار العديد من العوامل عند حلها[1].

ولذلك تبرز أهمية هذه المدة المرحلة في تطور النمو الأخلاقي عند العترة الطاهرة وهي مرحلة (٧ ــ ١٤) سنة وفيها يتم الصقل النفسي والأخلاقي، كي يتمكن الإنسان من المحافظة على الثوابت الأخلاقية، ولا يبحث عن المبررات والخطأ.

وهذا يعني عدم اختلاط المفاهيم، إضافة إلى عدم الاستهانة بقيمة (الصواب).

(١) علم النفس التكويني: ص٥٢٠ ـ ٥٢١.

وفي تكون المفاهيم الأخلاقية تقول البروفسو (أ.أ.لوبيلنسكايا) المتخصصة في علم نفس الطفل: (إن الأطفال غالبا ما يفهمون الكثير من المفاهيم الأخلاقية التي يستعملونها في السنوات الأولى، بل وفي السنة العاشرة والثانية عشرة، وبصورة غير صحيحة أو غير دقيقة.

فهم يعرفون الإنسان الشجاع على أنه القوي، والطيب هو ـ بالنسبة لهم ـ الجيد والمرح والكريم (يعطي الجميع كل شيء)، والعادل هو ذلك الإنسان النبيه واللطيف والرقيق، كما أنهم يعرفون بعض المفاهيم بشكل خاطئ، فهم يخلطون مفهوم المبدئي والمجد مع مفهوم العنيد، والشجاع مع العنيد والمستقل.

يتكون المفهوم، كل مفهوم، على أساس تجريد الصفات الجوهرية والثابتة والدائمة من الصفات الثانوية والمتغيرة في جميع الأشياء والوقائع التي تجعل كلا منها يتمتع بخصوصية معينة[١].

ومن هنا تجد أن العترة ضمت إلى عملية الصقل النفسي والأخلاقي الناحية المعرفية في هذه المرحلة الثانية (٧ ــ ١٤) حتى يتمكن الطفل من معرفة هذه المفاهيم الأخلاقية ويحس بها فيتفاعل مع المواقف التي يتميز بها الرجال فقد أمر الإمام الصادق عليه السلام أن يضم إلى هذه المرحلة تعليم القرآن الكريم فيه جميع الحقائق والثوابت الأخلاقية، وإذا كان الأساس من السنة الأولى هو سقاية ورعاية شجرة الإيمان في قلب الطفل ونفسه فلابد له أن يتفاعل مع هذه المفاهيم القرآنية،فقال عليه السلام:

(١) علم نفس الطفل، أ.أ. لوبيلنسكايا: ص٥٧١٠.

«الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال الحرام سبع سنين»[1]،

حتى إذا أكمل (١٤) سنة انتقل إلى مرحلة جديدة وبيئة نشأوية أخرى عرفها أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله:

«ويستخدم فيها سبعاً».

وهي من (١٤ ــ ٢١) أي يكون وزيرا لأبيه يشاوره في أمور الحياة ويجالسه في مجالس الرجال يسمع الكلمة ويعي المراد منها يحادث الناس ويفهم أبعاد حديثهم، ثابتاً، عزيزا، معدا لخوض غمّار الحياة.

وقد جاء في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قد أوكل قيادة الجيش في آخر أيامه المباركة إلى شاب دون العشرين وهو أسامة بن زيد بن حارثة وأمره بالخروج لقتال الروم وعبأ بنفسه المقدسة جميع المهاجرين والأنصار ولم يبقَ منهم أحد بما فيهم كبار الصحابة واستثنى عليا لنفسه، ولكنهم رفضوا الخروج لصغر سنه وهم الشيوخ فدعاهم مرة آخر وعقد اللواء بيده ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لعن الله من تخلف عن جيش أسامة»[2]،

فهذه الحادثة خير دليل على قدرة من هو في هذه السن إن اتبع والداه معه هذا النهج النبوي الذي رسمته العترة الطاهرة عليهم السلام.

---

(١) وسائل الشيعة : ج٧، ص١٩٤.

(٢) بحار الأنوار : ج٣٠، ص٤٣٣.

المبحث الخامس

المنهاج العملي للنبي وعلي وفاطمة (صلوات الله عليهم) في لعب الطفل وأثاره في النمو المعرفي والبدني

عند الوقوف على باب بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) نجد أن الأملاك تنهل قبلنا من معين سيد الخلق(صلى الله عليه وآله) وهو يغمر أهل بيته بحبه الذي لا يمكن لعقل أو حس أن يقيس مقدار هذا الحب النبوي، كيف يمكن إدراكه وهو إنما بعث رحمة للعالمين فكيف بحبه لأهل بيته وهو بعامة المؤمنين رؤوف رحيم[1]؟!

اللهم لا تحرمنا من رأفته ورحمته وثبّتنا على حبه وحب أهل بيته ففيهم يقترب إليك المتقربون، ويفوز المتبعون إن صدقوا في حبهم.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[2].

وكي نتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلابد من حبه وحب أهل بيته فبدون هذا الانفعال الوجداني لا تولى الوجوه شطرهم ولا تهوى القلوب إليهم.

فإن وجد هذا الشرط فتعال معي لنتعلم أحد السبل العملية في البناء والتكوين الإنساني، ولنفهم أن كل شيء قائم في هذا البيت فهو على الحب، ونواته حب الله.

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

المسألة الأولى: ملاعبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولديه عليهما السلام داخل البيت

وجد ومن خلال الأحاديث أن النبي الأكرم كان يلاعب ولديه وابني بضعته فاطمة كلما رآهما أو إن صح التعبير غالب ما اجتمع بهما، ويبدو أن العلة فيه بعد كونهما ريحانتيه في الدنيا، وحبه الشديد لهما، هو أنهما كانا ضمن هذه المرحلة الزمنية من النمو المعرفي والاجتماعي والنفسي والحسي والجسمي، أي: السنين السبع الأولى، فقد توفي عنهما وهما في السنة السابعة من العمر الإمام الحسن، والسادسة من العمر الإمام الحسين عليه السلام ولذلك كان يمشي معهما في هذه المرحلة من النمو، فبعد الإشراف على نموهما اللغوي والمعرفي بدأ بأبي وأمي يشرف على النمو الحركي لهما.

أولاً: تدريبهما على المشي.

عن أبي هريرة قال: سمعت أذناي هاتان وأبصرت عيناي هاتان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بكفيه جميعا حسنا ـ أو حسينا ـ وقدماه على قدمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول:

«**مزقة مزقة ترق عين بقة**».

فيرقى الغلام فيضع قدميه على صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم قال: «**افتح فاك**».

ثم قبله، ثم قال:«**اللهم من أحبه فإني أحبه**»[1].

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩، ص٢٨٠، برقم (١٥٠٤٠)؛ المعجم الكبير، الطبراني برقم (٢٦٥٤)؛ النهاية في الحديث، ابن الأثير: ج١، ص٣٧٨.

وعنه أيضا، قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بيت فاطمة عليها السلام فسلم فخرج إليه الحسن أو الحسين عليهما السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**أرق بأبيك عين بقة**».

أي: اصعد على أبيك وهو يمازحه بقوله (عين بقة) ـ وأخذ بإصبعيه فرقي على عاتقه، ثم خرج الآخر من بقعة أخرى.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**أرق بأبيك أنت عين البقة**».

وأخذ بإصبعيه فاستوى على عاتقه الآخر، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باقفيتهما حتى وضع أفواههما على فيه.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**اللهم إني أحبهما فأحبهما، وأحب من يحبهما**»[1].

ثانيا: المشي وأثره في النمو الحركي والعقلي للطفل.

النمو الحركي يتضمن التحكم التدريجي بضبط حركة الجسم ولاسيما العضلات الإرادية ويتوقف النمو الحركي على التحسين المستمر في التآزر الحسي العصبي والعقلي.

ومن أهم مطالب النمو الحركي في مرحلة السنين (الحركي والجلوس والوقوف والحبو والمشي).

(١) مجمع الزوائد: ج٩، ص٢٨٨، برقم ١٥٠٧٠؛ المعجم الكبير: برقم ٢٦٥٢.

ويعد المشي بصفة خاصة أهم نواحي النمو الحركي وأكثرها اتصالا بالنمو العقلي والنمو الاجتماعي؛ لأنه يتيح للطفل عالما أوسع وخبرة أوفر وتحرراً أكثر[1].

أما في عمر (٢ ـ ٦) سنوات فإن حركات الطفل تمتاز بالشدة وسرعة الاستجابة والتنوع واطراد التحسن، وتكون غير منسجمة أو مترابطة أو متزنة في أول المرحلة ويكاد النمو الحركي في أول المرحلة ينحصر في العضلات الكبيرة، وبعد ذلك بالتدريج يسيطر الطفل على حركاته ويسيطر على عضلاته الصغيرة بفضل التدريب المتقدم نحو النضج.

وهنا أيضا يكتسب الطفل مهارات حركية جديدة كالجري والقفز والحجل والتسلق وركوب الدراجة والحركات اليدوية الماهرة كالدق والحفر والدمي... الخ، ويكون نشطا بصفة عامة[2].

والشيء المهم في هذه الصورة التي تنقلها الروايتان: هو استخدام العاطفة والحب مع الحركة في تعامل الأب لولده.

ففي حين يقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتدريب ولده على التسلق عليه والارتقاء على كتفه فإنه يشجعهما قبلا ويسمعهما كلمات الحب، بل ويحث على حبهما.

وهو يكون بذاك قد عمل على تطوير النمو الحركي والانفعالي والاجتماعي والمعرفي والنفسي لهما، وفي نفس الوقت إعطاء درس عملي للإنسانية عن المنهاج الصحيح في التنشئة والتكوين للطفل، وكيف لا وهو معلم البشرية.

(١) علم نفس النمو: ص١٢٩.
(٢) المصدر السابق: ص١٦٧.

المسألة الثانية: الألعاب الاجتماعية والذهنية والتفكير

(Social , Intellectual Games and Thinking)

إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحث الحسن والحسين عليهما السلام على المصارعة باعتبار أن اللعب واسطة يتصل بها الطفل، (فإنه (اللعب) يمكن أن يكون مصدر تعلم (**Playing is Learning**) وتعد المحاكاة المباشرة للأفراد المحيطين به والأدوار التي يمارسونها أحد مصادر تعلم الطفل في نشاط اللعب، وبهذه الطريقة يستقبل الكلمات، وتزداد معرفته اللغوية مصحوبة بخبرات، وأهمية هذه الخبرة ترجع إلى عضويتها وتلقائيتها، ويمكن أن تكون هذه الخبرات تربوية إذا ما أخضعت للمراقبة والتخطيط والإعداد دون الاعتماد على العشوائية.

وللعب قيمة اجتماعية وانفعالية في شخصية الطفل، إذ إن مناسبات اللعب المختلفة تنتج فرصا تساعد على نضج الطفل الاجتماعي، لأن اللعب يساعد الطفل على التحرك من حالة تمركزه نحو نفسه إلى الانفتاح على الآخرين، وأخذ وجهات نظرهم بعين الاعتبار، ويتدرب على سلوك الأخذ والعطاء وتبني الدور والالتزام به، والالتزام بقوانين الألعاب مع مجموعة كما أنه يسعى نحو تطوير مركز بين أقرانه، ويجاهد لأن يكون مقبولا من قبل الرفاق.

إن أكثر أنواع اللعب إسهاما في تحقيق هذا النضج هو اللعب الحر، إذ فيه يتاح للطفل إنشاء علاقات، واختبار قدراته، ومهاراته الاجتماعية.

وفي اللعب يطور الطفل نظاما خلقيا، ويبتدئ ذلك فيما يشترك فيه من

ألعاب، وما يمارسه من مواقف انتظار للدور، والالتزام بمعايير وقوانين اللعب، وتحمل نتائج الفوز والهزيمة كما ويتعلم المعايير المرتبطة بسلوك الصواب والخطأ، والمسموح، والممنوع، والمرغوب، والمكروه.

وللعب دور معرفي اجتماعي هام يتجلى من خلال إسهامه في نمو عملية الإدراك الاجتماعي (Social Perception) إذ إن القدرة على الإحساس بشعور الآخر (Empathic Ability) تنمو وتتطور من خلال العلاقات الاجتماعية التي يتعرض لها الطفل في السنوات الأولى من حايته.

وفي أنشطة اللعب التي يعشها الطفل، فإنه يقف بدرجة كبيرة على التشابه الحقيقي (Actual Similarity) حيث تؤثر صورة الذات عند الفرد في تكوين مفهومه عن ذات الفرد الآخر وعلى التشابه المدرك (Perceived Similarity) الذي يدركه الفرد بين صورة ذاته وبين مفهومه عن ذات الآخرين، ويمكن فهم الأطفال عن طريق لعبهم إذ يقال: (تعرفونهم من لعبهم) وهناك قول آخر: (الأطفال يعلموننا كيف يفهمون) ومن ثم يصل المعرفيون ذوو التوجه الاجتماعي إلى موقف مفاده: (أن الأطفال يعلموننا كيف نعلهم) و(أن لعب الأطفال يعلمنا بأي وسيلة يتعلمون)[1].

تلك الأطر والنظريات التي تمخضت عن هذه الدراسات إنما هي في الواقع من ضمن المناهج التي رسمتها العترة النبوية عليهم السلام، ولكن ابتعاد الباحثين عن بيت الرسالة جعلهم يخوضون غمار النتائج الفكرية المختلفة لدى الحضارة الإنسانية التي تعود ـ أي، هذه الحضارة ـ إلى معلم

(١) تفكير الأطفال، د.يوسف قطامي: ص ٧٧٣ ـ ٧٧٥

البشرية الأول صلى الله عليه وآله وسلم، الذي نهل عن وحي الله وهو الذي: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

ولذلك تجده صلى الله عليه وآله وسلم كان يلاعبهما بنفسه مرة، ومرة أخرى يأمرهما بالاصطراع بين يديه كي ينمي من خلال هذا اللعب المباني المعرفية، والنفسية، والجسدية، والحسية إضافة إلى النمو الاجتماعي والخلقي، إذ يتمكن الطفل من التحرر من قيود الفردية إلى الغيرية، وينمو إدراكه اتجاه الآخر فيتطور لديه مفهوم التنافس والنصر والهزيمة ونظرة الوالدين له أثر هذه النتائج، وغيرها من الإدراكات المعرفية.

إذن: فلنرَ كيف كانت صور الطفولة في بيت بضعة النبي فاطمة عليها السلام.

أولاً: اصطراع الحسن والحسين عليهما السلام

أخرج الشيخ الصدوق رحمه الله، عن البرقي، عن فضالة، عن زيد الشحام، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال:

«دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة بيت فاطمة عليها السلام ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، فقال لهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوما واصطرعا.

فقاما ليصطرعا وقد خرجت فاطمة عليها السلام في بعض حاجاتها، فسمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ايه يا حسن شد على الحسين فاصرعه!

---

(١) سورة العلق، الآية: ٥.

فقالت: يا أبه وا عجبا أتشجع هذا على هذا، تشجع الكبير على الصغير؟!

فقال لها: يا بنية أما ترضين أن أقول أنا: يا حسن شد على الحسين فاصرعه، وهذا جبرائيل يقول: يا حسين شد على الحسن فاصرعه»[1].

٢ـ هذا التشجيع من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلزم سماع الحسن والحسين عليهما السلام لصوت جبرائيل عليه السلام وإلا لا يمكن أن ينادي النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ايه يا حسن شد على الحسين فاصرعه، والحسين أصغر من الحسن، وقصده العدل والمساواة بينهما وتربيتهما على ذلك، وهما لا يسمعان صوت المشجع الآخر.

٣ـ سؤال فاطمة عليها السلام وتعجبها كان من ناحيتين:

ألف: لكونها خرجت لبعض شؤونها فلم تكن حاضرة لتسمع صوت جبرائيل عليه السلام كما سمعه ولداها.

باء: كي يظهر الله عزّ وجل مكانة أهل هذا البيت عليهم السلام فتسمع صوت أبيها صلى الله عليه وآله وسلم دون صوت جبرائيل عليه السلام فتتعجب وتستفهم الحال فيخبرها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، (أما ترضين)، أي: بهذه المنقبة والكرامة.

(١) الأمالي: ص٤٤٦، المجلس الثامن والستون؛ مستدرك الوسائل: ج١٤، ص٨١، باب نوادر ما يتعلق بأبواب كتاب السبق والرماية، برقم (١٦١٥٢)؛ بحار الأنوار: ج٤٣، ص٢٦٨، باب فضائلهما، وج١٠٠، ص١٨٩، باب السبق والرماية؛ الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله: ج٢، ص١٢٨؛ أعلام الورى ،الطبرسي: ص٢١٧؛ أمالي الطوسي: ص٥١٣؛ المناقب ، ابن شهر: ج٣ ص٣٩٢؛ قرب الإسناد ، الحميري: ص٤٨؛ كشف الغمة الأربلي: ج٢، ص٧؛ شرف المصطفى(صلى الله عليه وآله) ، الخركوشي (مخطوط): الورقة ١٨٢، جهة اليمين، بألفاظ متقاربة.

٤ــ قد أسلفنا في بداية الفصل: أن لجبرائيل عليه السلام دورا في تربية وتنشئة ريحانتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وولديه، منذ ولادتهما وحتى وفاة جدهما صلى الله عليه وآله وسلم وبذلك انقطع الوحي عن زيارة هذا البيت ظاهرا لأن الذي كان يراه قد انتقل إلى الرفيق الأعلى، أما واقعا فهو لم ينقطع عن هذا البيت وإن لم يره أحد، ولكن يسمعون صوته ولم يكن وحيا، كما سيمر علينا في أبواب الكتاب بعونه تعالى.

ثانيا: المطابقة بين مستوى الطفل النمائي الاجتماعي ومستوى الألعاب التي يلعبها

أما هذه الألعاب الاجتماعية عند المتخصصين، فهي: مطابقة بين مستوى الطفل النمائي الاجتماعي ومستوى الألعاب التي يلعبها أو يميل إليها.. إذ إن كل مرحلة من مراحل نمو الطفل الاجتماعية ترتبط بمظاهر معرفية، لذلك، يرى البعض أن النمو الاجتماعي يرتبط في مظاهره بمظاهر النمو المعرفي.

فالمنافسة مفهوم معرفي، يتطلب من الطفل معرفة ما لدى الطفل الآخر من إمكانات وقدرات، واستعدادات، يبحث عنها الطفل، ويتقصاها في الطفل الآخر، واعتمادا على ذلك يحدد موقفه منه.

لذلك، يفترض بعض علماء النفس المعرفيين أن المفهوم المعرفي يرتبط بمفاهيم اجتماعية تحت اسم (Soeral Cognition) أي المعرفة الاجتماعية، ولهذا، فإن هناك الكثير من المفاهيم الاجتماعية التي تتطلب معرفة قبل تمثلها واستيعابها لدى الطفل.

فمثلا: أن مفهوم التعاون، ومظاهر التعاون، وسلوك التعاون، وفهم مبادئ الأخذ والعطاء، وسيطرة الانجاز الجماعي على الانجاز الفردي...

الخ، وغير ذلك من مضامين مفهوم التعاون، أن كل تلك الأمور، وقبل أن تصبح صيغاً اجتماعية هي أبنية معرفية ممثلة عند تجمعها في بناء اجتماعي هو مفهوم التعاون.

ومن خلال ذلك:

أمكن فهم العلاقة بين النواحي الاجتماعية والنواحي العقلية المعرفية ومظاهرها[1].

المسألة الثالثة: أهمية الوقت في اللعب عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

تحدثنا الروايات وتنقل لنا صورة ثانية من داخل بيت الزهراء عليها السلام عن الطفولة وأطوارها المتعددة، والتي بالطبع يترجمها الحسن والحسين عليهما السلام من خلال تغير أنواع اللعب حسبما تقتضيه المرحلة العمرية التي يمران بها.

وهنا: يعطي النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم درسا جديدا في الاجتماع العائلي يرسم من خلاله النهج الصحيح للأبوين في بناء ونمو النواحي العقلية المعرّفية والحسية والبدنية والنفسية والاجتماعية للأبناء.

فقد أخرج الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام بإسناده إلى جده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قال:

«إن الحسن والحسين كانا يلعبان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى

(١) تفكير الأطفال: ص٧٨٠ ـ ٧٨١.

مضى عامة الليل ثم قال لهما: انصرفا إلى أمكما فبرقت برقة فما زالت تضيء لهما حتى دخلا على فاطمة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إليهما.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الحمد لله الذي أكرمنا أهل البيت»[1].

نقاط البحث في الحديث:

أولا: عامل الوقت المستخدم في اللعب ودوره في النمو

أشار كثير من الباحثين في العلوم النفسية الاجتماعية إلى دور اللعب في نمو شخصية الطفل وبنائه النشأوي؛ ولأهمية هذا الدور وأثره على الطفل فلابد أن يكون هناك اختيار لنوع الألعاب التي يمارسها الطفل حسبما يتناسب مع الفئة العمرية له.

وأن يكون أيضا له الفسحة في أخذ كفايته من اللعب، إذ إن لعامل الوقت دورا لا يقل عن دور أصل اللعب في البناء النشأوي له.

بل: قد يؤدي نقصان الوقت في اللعب إلى نتيجة عكسية تظهر في تعامل الطفل مع والديه وأخوته وسببه عدم أخذ الوقت الكافي لممارسة الألعاب.

والحديث يشير إلى هذا الدور المهم في نمو الطفل من خلال ممارسة اللعب نفسيا ومعرفيا واجتماعيا، وغيرها من الجوانب التي تتداخل في تكوين شخصية الإنسان.

ولذا: أشار الحديث بوضوح إلى هذه المسألة العلمية بقوله عليه السلام:

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٣٩ ـ ٤٠؛ المناقب، المازندراني: ج٣، ص٣٩٠، فصل معجزاتها؛ صحيفة الرضا عليه السلام: ص٧١؛ بحار الأنوار: ج٤٣، ص٢٦٦ ـ ٢٨٨؛ الجعفريات: ص١٨٣، كتاب التفسير.

«كانا يلعبان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى مضى عامة الليل».

أي إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم تركهما يلعبان حتى يأخذا كفايتهما من الوقت في ممارسة ألعابهما فيشعرا بالاكتفاء، ومن ثم هدوء النفس واحتياجهما للنوم؛ لأن هذه الطاقات النفسية والعقلية والبدنية قد وجدت منفذها وسد حاجتها.

أضف إلى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يدعهما إلى التفريط في الوقت، بل راعى الحاجة عندهما إلى ذلك؛ كي يشعرا أن هناك حدوداً وضوابط يجب عليهما مراعاتها حتى لا يكون هناك هدر في معظم اليوم، أو قد يؤدي هذا التفريط إلى الإنهاك والضعف وقلة النوم وتضييع الواجبات. ولذا: أمرهما ـ بأبي وأمي ـ بالانصراف إلى أمهما عليهما السلام.

بقي أن نقول:

إن الأبحاث المعاصرة إشارة إلى ضرورة وجود أحد الأبوين عند ممارسة الأبناء للعب كي يشرفا على تصحيح بعض السلوكيات عند الأطفال في أثناء ممارستهما للألعاب المختلفة إذ إنّ كثيراً من هذه السلوكيات يكتسبها الطفل أثناء اللعب ويظهرها للآخر ولاسيما تلك الألعاب الجماعية.

ومن هنا نراهما كان يلعبان في محضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما دلت عليها الرواية.

ثانيا: الحكمة في ظهور الكرامة لهما عليهما السلام أثناء اللعب

من المساءل التي أظهرها هذا الحديث والحديث السابق ـ الذي نقل لنا

منـاداة جبرائيـل عليـه السـلام، أه يـا حسـن عليـك بالحسـين فـرد النبـي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم آه ياحسـين عليـك بالحسـن ـ مسـألة ظهـور هـذه الكرامـات للحسـن والحسـين عليهـما السـلام أثنـاء ممارسـة اللعـب؛ فـما هـي الحكمـة في ذلـك؟!

تكمن الحكمة في ذلك من شقين:

١ ـ هـو إلفـات نظـر الذيـن مـن حـول العـترة الطاهـرة عليهـم السـلام إلى أن هـذا البيـت بأفـراده الخمسـة قـد تـم اصطفاؤهـم واختيارهـم لحمـل شرع الله وأمنائـه عـلى وحيـه.

ولـذا: فهـي رسـالة للجميـع مفادهـا: اعلمـوا مـن هـم آل محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم، ومـا لهـم عنـد الله مـن الشـأن فـلا يسـاء فهـم الظاهـر مـن فعلهـم صغـارا،: اللعـب، والمطالبـة بالحاجـات مـن الآبـاء والتلطـف إليهـم في الحصـول عليهـا وغيرهـا ممـا يظهـره الطفـل في هـذه المراحـل، فـما ضرّ عيسـى عليـه السـلام صغـره في المهـد، كـما لا أفقـد يحيـى صبـاه قربـه مـن الله عـزّ وجـل.

ولـذا: صحبهـما جبرائيـل عليـه السـلام في الحالـة الأولى مـن اللعـب، أي: عنـد اصطراعهـما بـين يـدي رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم وظهـرت لهـما البرقـة مـن السـماء فأضـاءت لهـما الطريـق إلى الـدار، فاسـتقبلها النبـي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم بالدعـاء حامـدا ومثنيـا عليـه لهـذه الكرامـة.

٢ـ أما الشق الثاني من الحكمة في ظهور هذه الكرامات فهو:

عـدم انشـغال قلبيهـما عـن ذكـر الله أثنـاء اللعـب ـ وهـذه خاصـة بالمعصـوم عليـه السـلام ـ.

بمعنى آخر: كي يحصل المدد الإلهي والعون الرباني فلابد من توجه الإنسان إلى الله عزّ وجل، فالغافل لا يحصل له المدد، ونقصد به التسديد، لا الرازقية التي هي من مظاهر الرحمانية الإلهية، فالله هو الرزاق الرحمن الرحيم.

ولكن: هل التسديد مناط بكل الخلق، أو أنه مخصوص بخاصة الله تعالى وهم الأنبياء والمرسلون والأوصياء عليهم السلام؟! ومن لزم سبيلهم وسار بهديهم؛ فكل يَرِد عليه بقدره:

﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾[1].

نعم: إنه مخصوص بهذه الثلة المصطفاة:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ*ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

ولذا: دل الحديث على عدم انشغال قلبيهما من ذكر الله عزّ وجل، فلو شغل القلب لانقطع التواصل وفقد الأثر.

في حين كان صوت جبرائيل عليه السلام وظهور النور يدلان على التواصل والارتباط بالله عزّ وجل.

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٣ ـ ٣٤.

المبحث السادس

منهاج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ملاعبة الحسن والحسين (عليهما السلام) خارج البيت

اعتمد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم منهجا خاصا في التعامل مع الحسن الحسين عليهما السلام خارج بيت أمهما فاطمة عليها السلام، لغرض تثبيت ركائز عديدة في المجتمع الذي دأب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على بنائه بناءً جديدا، هذا البناء الذي بدأ في تغيير الأسس التي قام عليها المجتمع الملكي والمدني، على الأسس التي قامت عليها المجتمعات الأخرى، ولذا تراه صلى الله عليه وآله وسلم اتبع مناهج متعددة كانت تعالج القيم من الجذور كي تبدأ مرحلة جديدة من الحياة خالية من العوالق التي تعيق حركة النمو والإصلاح.

وإلا فهو ـ بأمي وأبي ـ ظاهره وباطنه القرآن، أي لا يختلف تعامله داخل البيت عن خارجه، وإنما اتبع هذا المنهاج الخاص الذي سنعرض له من أجل قلع الأسس التربوية القديمة وإبدالها بأسس تربوية جديدة.

المسألة الأولى: فوائد المنهج الجديد في التربية والتنشئة الاجتماعية

صوّر لنا التأريخ تعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الحسن والحسين خارج المنزل، في حالتين أو صورتين:

الصورة الأولى كانت تأسيسه لبناء رعاية الأطفال وآلية التعامل معهم بأسلوب جديد لم يعهده أولئك الرجال من آبائهم أو أجدادهم؛ بل لا نبالغ

إن قلنا ولم يلحظوه في أترابهم؛ لأن المجتمع غالبه نشأ على القسوة والقهر واستعباد الغير سواء من خلال سلطة المال كشراء العبيد واستملاكهم وما يلدون؛ أو من خلال سلطة السطو والأسر الذي تمارسه القبائل.

ولذلك: نشأت هذه النفوس على عدم الشفقة لأنهم يرونها نقصا في الرجولة ويفهمون أنّ رعاية الطفل والمرأة من الميوعة التي لا تنسجم مع المكونات الذكورية لديهم.

وإذا بهم اليوم يرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعامل برقة لطالما حنت إليها قلوبهم وإن أنكرتها نفوسهم فبدأوا يلاحظون أثر السعادة في أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين عليهما السلام فضلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا طبعا سيدفعهم إلى الممارسة الفعلية لهذا اللون من التعامل كي يعوضوا ما فقدوه من عاطفة في صباهم.

وعليه: كان تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع ولديه خارج المنزل خطوة تأسيسية ترتكز عليها آلية التعامل مع الأطفال ضمن منهج حضاري للتنشئة الاجتماعية.

وقد ورد في الأثر عن أنس، وعبد الله بن شيبة، عن أبيه: أنه دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى صلاة والحسن متعلق به فوضعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقابل جنبه وصلى فلما سجد أطال السجود، قال شيبة: فرفعت رأسي من بين القوم فإذا الحسن على كتف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما سلم صلى الله عليه وآله وسلم، قال له القوم يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها كأنما يوحى إليك.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لم يوحَ إلي ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجل له حتى يقضي حاجته»[1].

وفي رواية أنه قال:

«لم يوحَ إلي ولكن ابني كان على كتفي فكرهت أن أعجله حتى نزل»[2].

نعم الجمل جملكما

وفي حالة مماثلة ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم، وقد دخل عليه جابر فرآه والحسن والحسين عليهما السلام على ظهره وهو يحثو لهما ويقول:

«نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما»[3].

وهما عليهما السلام يقولان:

«حل، حل»[4].

---

(١) علل الشرائع: ج١، ص١٧٤؛ معاني الأخبار: ص٣٥١؛ البحار: ج٤٣، ص٢٩٤؛ السنن الكبرى، البيهقي: ج٢، ص٢٦٣؛ تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص١٦٠؛ سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٢٥٧؛ غريب الحديث، ابن قتيبة: ج٢، ص٣٥٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٥، ص١٧٢؛ البحار: ج٤٣، ص٢٨٥؛ مجمع الزوائد: ج٩، ص١٨٢؛ ذخائر العقبى: ص١٣٢؛ المناقب، ابن شهر: ج٣، ص٨٨، بلفظ: «نعم المطي مطيكما وأبوكما خير منكما».

(٤) البحار للمجلسي رحمه الله: ج٤٣، ص٢٨٥.

المسألة الثانية: فوائد المنهج الجديد الذي اتبعه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في التنشئة الاجتماعية

أولا: (مبحث سيكولوجي) حضور الأب في تربية الطفل وتطوير مهاراته وتنمية قدراته من خلال اللعب

عرض الحديث جانبا مهما في التربية النفسية للطفل وتطوير مهاراته وتنمية قدراته البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية من خلال حضور الأب في بناء وتنشئة الطفل تنشئة صحيحة وسليمة.

إذ يؤكد التربويون أن من أهم عوامل نمو الطفل هو اللعب الذي ينمي حواسه وجسده وعقله كونه نشاطا ينغمس فيه الأطفال بحماسة بالغة من تلقاء أنفسهم ويمضون ساعات طويلة في ممارسته.

ومن خلال اللعب تتم عملية التنشئة الاجتماعية وتكوين الهوية، بإيصال المفاهيم الثقافية والمعلومات وتطوير المهارات.

ومع أن التربويين وعلماء النفس يختلفون في تفسيراتهم لدوافع اللعب عند الطفل، إلا أنهم يتفقون على ضرورة حرص الآباء، باختلاف أعمارهم وطبقاتهم وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، على تخصيص أوقات يقضونه للعب مع أطفالهم[1].

وأكدوا على أن اللعب مع الأطفال خلال الأشهر الأولى من حياتهم قد يحميهم من المشكلات الصحية سواء النفسية أو العضوية، وأكدوا على أن الآباء أو الأمهات الذين يتصرفون بعدوانية مع أطفالهم الصغار وبشكل غير

(١) سيكولوجية اللعب ، فضل سلامة: ص٩٥.

مسؤول يؤثرون سلباً على نموهم السليم ويعرقلون عملية تطورهم الطبيعي بدنيا وذهنيا؛ لأن دماغ الطفل يتطور بسرعة خلال السنة الأولى من حياته.

كما أن الغذاء الذي يعطي للطفل في بداية حياته يؤثر بشكل كبير في وضعه الصحي لاحقا، لأن الدماغ البشري يتطور أسرع خلال الثمانية عشر شهرا الأولى من حياة الإنسان أكثر من أي وقت أو مرحلة عمرية أخرى، حيث يضع الدماغ الإشارات العصبية والاتصالات التي تبقى إلى الأبد.

وحذر الدكتور يير فوناجي أستاذ التحليل النفسي في كلية لندن الجامعية من أن الوالدين اللذين يفتقدان إلى المهارات التربوية قد يسهمان في إصابة أطفالهما بمشكلات عقلية في المستقبل، أو حتى زيادة خطر إصابتهم بأمراض القلب.

كما دعا ذوي الشأن إلى اتخاذ استراتيجيات مناسبة لتحسين مهارات الوالدين في العناية بأطفالهم وتربية وإنشاء أجيال ذكية وسليمة للمستقبل.

وقد أظهرت الدراسات التي أجريت بهذا الشأن أن الأشخاص الذين تربوا في بيئات سلبية أو عدوانية لم يتمكنوا من التعامل مع ضغوطات الحياة والتوترات التي سيواجهونها في المستقبل حيث يقفون عاجزين عن وضع الحلول لأبسط المشكلات.

كما أن نوع الاستثارة الذهنية التي يقدمه الآباء لأطفالهم تلعب دورا كبيرا في تحفيز تفكيرهم وقدراتهم الإدراكية[1].

(١) سيكولوجية اللعب عند الأطفال : ص٩٥ ـ ٩٦.

وأشارت الدراسات التي أجروها أطباء متخصصون في مجال سيكولوجية الطفل إلى وجود نسب متزايدة من الأطفال المصابين بمرض التوحد أو اضطرابات فرط النشاط وعجز الانتباه الذي يتسبب عن نقص في جزء الدماغ المسؤول عن السيطرة على السلوكيات الاندفاعية والمحافظة على التركيز، حيث إن هذه المنطقة تنمو وتتطور في السنوات القليلة الأولى من حياة الإنسان.

وأكدوا أن النقص الشديد في هذه المنطقة الدماغية يميز اضطرابات التوحد في حين أن النقص الخفيف قد يسبب مشكلات نفسية مثل العنف والميول العدوانية واضطرابات السلوك ومشكلات اجتماعية؛ وأشاروا إلى أن الآباء كلما تكلموا مع أطفالهم أكثر كلما شجعوا نموهم وتطورهم العقلي الطبيعي السليم.

وأشارت دراسات أخرى إلى أن نقص الاستشارة الذهنية الإيجابية من قبل الآباء قد يزيد فرص نمو أطفال لا يملكون القدرة على التعبير عن عواطفهم وتفسير ردود الفعل من حولهم.

ويتساءل المربون الإيطاليون عن كمية الوقت الذي يمضيه الأب للعب مع أبنائه؟ وإذا كان بعض الآباء يتذكر عدد الحكايات التي رواها لابنه؟ وكم عدد المرات التي فتح الأب الأبواب أمام مخيلة أطفاله نحو عالم الفنون كالرسم بجعل الطفل متذوقا صعبا ومشاهدا مهما لأنه ينتظر على الدوام من يشجع رغباته وحاجاته واستعداداته للارتقاء.

وأكدت آخر الاستطلاعات أن الأطفال يعانون من قلة حضور الآباء

في حياتهم اليومية إذ إن ١٥٪ من الآباء يقضون معدل ٣٠ دقيقة يوميا مع أولادهم، وأكثر الألعاب التي يؤديها الأب عادة مع طفله لا ترتقي إلى المستويات المطلوبة، لأن الآباء لا يحملون أي قناعة أو رغبة في ممارستهم هذه ولهذا السبب فإن الأطفال يفضلون الأجداد والجدات، كونهم قادرين على المرونة والتعاطف المطلوبين من الطفل.

ويبين الاستطلاع الذي أجري على عينة من ١٦٠٠ طفل تتراوح أعمارهم ما بين ٦ و١٤ عاما أن أكثر من ٨٥٪ يفضلون البقاء واللعب مع أجدادهم وجداتهم، ونحو ٧٨٪ يعتقدون بأن لعب الأب مع طفله بين الحين والآخر، يعدّ واجبا لابد من إنهائه بسرعة، و٩٢٪ يتمنون مشاركة الأب في اللعب بصورة مستمرة.

ويقول طبيب الأطفال مارشيللو بيناردي مؤلف كتاب «مغامرة البحث عن طريق لآباء اليوم» أن التحالف ما بين الأب وأبنائه داخل العائلة له وجود حقيقي في العديد من العوائل في مختلف أنحاء العالم فالأب الجيد يجب أن يدرك أن عليه احترام الآخرين وأن يكون في الوقت نفسه في موقع احترام الآخرين الذين حوله، وأن يعرف كيف يحب من دون انتظار المقابل وأن يكون مقتدرا على الاحتفاظ بقراراته ووعوده مع أطفاله، ومن شأن المشاركة الدائمة في اللعب مع الأطفال أن تقوي مثل هذا الدور.

ويقول البروفسور بينديتو فيرتيكي من جامعة لاسبينسا (المعرفة) فر روما: علاقة الطفل مع البالغ أساسية في عملية التربية منذ بدايات الأشهر الأولى في حياة الطفل، وابتداء من عمر ٣ سنوات وما فوق فإن نوعية عامل

اللغة المستخدمة يكون ضروريا[1].

ويقدم الكاتب التربوي بيرناردي، وصاياه للآباء من أجل حثهم على اللعب مع أطفالهم فيقول: معرفة الأب من وجهة نظر العديد من المربيين أنها لم تعد عصرية بفعل التطور السريع للعلوم، إلا أنه من ناحية أخرى ليس باللاعب المحترف.

لهذا عليه إلغاء الفكرة القائلة أن الترفيه لا ينطوي على أي سمة تعليمية عليه أن ينظر إلى اللعب لا بوصفه عملية خداع للنفس، بل كونه أسلوبا تربويا مختلفا بإمكانه الانطلاق للمساهمة في تحسين الظروف للنمو العاطفي السليم من منطلق تثبيت ثقة الطفل بنفسه وبشخصيته، لأن الابن يرى بأبيه الشخصية المثالية القادرة على إعطائه كل الصفات الخيالية التي يحتاجها.

وكما يوحي التربويون فإن الطفل لا يحتاج إلى من يوقظ فيه الإحساس بالجمال، لأنه متذوق لكل الفنون بفطرته وكل ما يحتاجه هو من يغذي هذا الإحساس بالمثيرات من خلال الألعاب بشكل مبدع ودؤوب.

والأب قادر على ممارسة هذا الدور السهل أيا كان عمره ومستوى ثقافته، شرط توافر الرغبة.

ثانيا: اختيار لعب الأطفال

مما لا شك فيه أن للعب تأثيرا في النمو في جميع النواحي، فالطفل يتعلم عن طريق اللعب الذي تحكمه قواعد، وهو أيضا وسيلة للنمو الاجتماعي، إذ يتعلم الطفل التعاون وفق إقامة علاقات اجتماعية مع العالم الخارجي لغير

(١) سيكولوجية اللعب عند الأطفال: ص٩٦ ـ ١٠٠.

محيط الأسرة.

كما أن في اللعب فرصة للتخلص من القلق والتوتر وبعض المتاعب وتختلف ألعاب الأطفال من تلك التي تقوم بها الكبار، لذا ينبغي أن نختار اللعب التي تناسب كل سن حتى تحقق الهدف التربوي منها وتترك الأثر النافع، وعلى الكبار إذن تقع المسؤولية كاملة في اختيار اللعبة المناسبة حتى لا يصبح اللعب مضيعة للوقت وبخاصة أننا لا نستطيع أن نحرم صغارنا من اللعب لأننا لن ننجح في ذلك.

فسواء رغبنا أم كرهنا فلابد للأطفال من اللعب ولو في غفلة منا عندما تتاح لهم الفرصة لمخالفة أوامرنا لأنه من غير الممكن أن نتحكم في حياتهم وخيالهم وأحلام يقظتهم.

ولذلك يجب أن نفهم جيدا أن الطفل الذي لا يوجد عنده ميل للعب يكون طفلا غير طبيعي وينبغي دراسة حالته.

ومن هذا المنطلق ينبغي أن نولي الأطفال العناية والرعاية ونتيح لهم فرصة اللعب الهادف ونعمل على إعدادهم الإعداد الجسمي عن طريق التربية الرياضية.

وليس معنى ذلك أن نطلق لهم الحبل على الغارب بلا قيود ولا حدود، فلا يجوز أن يكون الاهتمام بالألعاب الرياضية على حساب واجبات أخرى أو على حساب تحصيل العلم وطاعة الوالدين، بل يجب أن يكون الارتباط في حدود الوسط والاعتدال[1].

(١) سيكولوجية اللعب عند الأطفال: ص١٠٥ ـ ١٠٦.

المسألة الثالثة: تأثير المنهج النبوي في التنشئة الاجتماعية في مجتمع المدينة

ضمت المدينة المنورة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نماذج متعددة من بيئات اجتماعية مختلفة إلى حد ما؛ وإن كانت تجمعها صفات مشتركة نشأت عليها أصول الرجال والنساء؛ وهي ما تعرف بصفات البداوة.

والسبب في هذا التنوع هو لقدوم وهجرة أهل مكة، ـ أي: المسلمون ـ إليها وهذا يعني نقل صفات المجتمع المكي إلى المدينة.

ثم لوجود ديانات سماوية أخرى وهي اليهودية والمسيحية واعتناق بعض أهلها لهذه الديانات وهو ما يضفي على المجتمع من نقل وممارسة لهذه الإيديولوجية أو تلك؛ ومحاولة التأثير على هذا الدين الجديد ممثلا بأفراده.

فضلاً عن انتقال بعض سمات المجتمع الفارسي أو الرومي أو الأفريقي بفعل التجارة والصناعة وكون بعض التجار أو الغلمان في المدينة يتبضعون منها وإليها.

بمعنى: وجود عوامل للغزو الثقافي المتعدد الوجوه، تعمل على صدّ هذا المنهج الجديد في التنشئة الاجتماعية أو على الأقل تحاول أن تدخل فكرها فيه وهو ما تم فعلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مناح متعددة من المجتمع الإسلامي.

ولذا.. نجد الصعوبة الكبيرة التي كانت تحيط ببعض المسلمين عندما يرى تعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ولديه الحسن والحسين عليهما السلام

وكيف يحيطهما بحبه الكبير ويوليهما بالغ عنايته وجزيل رعايته.

فيقف أحدهم، وهو: الأقرب بن حابس، حائرا متفكرا في فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو ينظر إليه كيف يلاعبهما ويشبعهما قبلا فتملأ ضحكاتهما القلب سرورا وبهجة.

فيطيل النظر إليهما وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى نفسه أين هو من هذا السرور!

ولذلك.. لم يملك نفسه أن قال: يا رسول الله إن لي عشرة ـ أولاد ـ ما قبلت واحدا منهم قط؟!

فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى التمع لونه وقال للرجل:

«إن كان قد نزع الرحمة من قلب فما أصنع بك؛ من لم يرحم صغيرنا ويعزز كبيرنا فليس منا»[1].

فهذا الرجل قد تكلم وكشف ما يجول في خاطره من إعراض لهؤلاء الأولاد مع كثرتهم ولم يرق قلبه لأحدهم وكأنه منزوع الرحمة فأصبح ميئوساً منه، بل هو لا يصلح أن يكون ضمن هذا المجتمع الجديد الذي ظاهره الرحمة وباطنه الحب والرأفة.

وربما كان غيره كثيرون هم على نفس هذه الحالة النفسية إلا أنهم سكتوا؛ أو فطنوا أن هذا الفعل النبوي هو التشريع الجديد وهو المنهج الصحيح في تنشئة أبنائهم.

وتعرض لنا السيرة النبوية صورة أخرى عن تعامل رسول الله صلى الله

(١) المناقب، المازندراني: ج٣، ص٣٨٤.

عليه وآله وسلم مع الحسن والحسين عليهما السلام وملاعبتهما خارج المنزل، ما أخرجه بعض حفاظ المسلمين لهذه الصورة.

فقد روي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج مع أصحابه إلى طعام دعوا له فإذا بالحسين عليه السلام وهو صبي يلعب مع صبية في السكة فاستتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمام القوم ـ أي تقدّمهم ـ فطفق[1] الصبي يفر مرة هنا ومرة هنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضاحكه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت فاس رأسه وأقنعه؛ فقبله وقال:

«**أنا من حسين وحسين مني، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط**»[2].

نقاط البحث في الحديث:

أولا: (بحث سيكولوجي) اللعب خارج المنزل

تفاوتت آراء الأمهات والآباء في السماح لأطفالهم باللعب خارج المنزل بين القبول والرفض فمنهم من رأى أن اللعب خارج المنزل يعرض الطفل إلى المخاطر بوصفه سيختلط مع أطفال قد لا يتحلون بمستوى تربوي مثلما ينبغي؛ أو قد يؤدي به اللعب خارج المنزل إلى الشجار وكسب عادات سيئة

(١) طفق: أي، جعل يفعل كذا؛ الصحاح ، الجواهري: ج٤، ص١٥١٧.

(٢) الأمالي ، السيد المرتضى: ج١، ص١٥٧؛ مسند أحمد: ج٤، ص١٧٢، من حديث ابن إبراهيم عن أبيه؛ مستدرك الحاكم: ج٣، ص١٧٧؛ تاريخ دمشق: ج١٤، ص١٤٩؛ تهذيب الكمال، المزي: ج٦، ص٤٠١؛ أمتاع الأسماع ، المقريزي: ج٦، ص١٨؛ المناقب ، المازندراني: ج٣، ص٢٢٦.

وتوسيخ الملابس وغيرها بينما يرى الآخرون اللعب خارج المنزل له فوائد جمة لا يمكن أن تتوفر للطفل داخل المنزل.

وعليه: نعرض لبعض الدراسات فقد توصلت دراسة فرنسية إلى أن لعب الأطفال خارج المنزل يعد ضروريا من أجل نموه الجسدي ونصحت الدراسة الآباء بضرورة تشجيع أبنائهم على الحركة واللعب خارج المنزل على الدراجة أو الركض من أجل النمو الجسدي الصحيح والتخلص من الوزن الزائد.

وبخاصة أن آخر الإحصاءات أظهر أن ٣٠٪ من الأطفال بين ٦ سنوات فما فوق هم أما مصابون بالسمنة أو البدانة مما يعرضهم لخطر الإصابة بالأمراض المزمنة مثل مرض القلب، ارتفاع ضغط الدم، والسكري والمشاكل العاطفية أثناء المراهقة وفي الحياة اللاحقة.

وفي دراسة أخرى أجراها باحثون أمريكيون استمرت ثلاث سنوات وامتدت لتشمل عشرين مدينة أمريكية ظهر أن أمهات أميركيات فضلن جلوس أطفالهن في البيت ومشاهدة جهاز التلفاز طوال أوقات فراغهم بدلا من الخروج واللعب لشعورهن أن الشارع في المدن الأميركية غير آمن وخطر على الأطفال وبخاصة في السن التي تسبق ذهابهم إلى المدرسة.

ولاحظت الدراسة ظهور دلائل البدانة على هؤلاء الأطفال مقارنة بقرنائهم الذين يخرجون إلى الشارع أو الحدائق المجاورة للعب، وفي ختام الدراسة رأى الباحثون أنه يفضل أن يقوم الوالدان بالسماح لأطفالهما باللعب خارج المنزل.

نشرت الدراسة في مجلة طب الأطفال الأمريكية، وقالت رئيسة فريق الباحثين هيلاري بورديت وهي طبيبة أطفال (أن هذه الدراسة هي الأولى من نوعها التي تدرس عينة خاصة بعلاقة رؤية الوالدين لسلامة البيئة المحيطة وعلاقة ذلك بالبدانة فضلا عن أن الدراسة تناولت البدانة والنشاط البدني في المدة التي تسبق دخول الطفل إلى المدرسة.

وأشارت الطبيبة أيضا إلى علاقة مشاهدة ـ جهاز التلفاز ـ مع نمو الروح العدوانية وضعف الأداء الدراسي خلال السنوات الدراسية ـ باعتبار أن البيت يصبح هو المكان الذي يتحرك فيه الطفل فلا يجد فيه سوى جهاز التلفاز من وسيلة لإشغاله وملء فراغه وبخاصة إذا لم يكن لديه أخوة قريبون من سنة مع اشتغال والديه عنه ـ.

ولذا: ألمحت الطبيبة هيلاري بورديت ـ إلى عمق تأخير المشاهدات التلفزيونية في الفترات المبكرة من حياة الإنسان ـ وقالت: لذلك قررنا دراسة مثل تلك الأنماط لتأثيرها على الأطفال في أوقات لاحقة من حياتهم.

ولجأ الباحثون إلى اختيار الفرضية القائلة بأنه في حال شعور الأمهات بأن البيئة المحيطة بالمنزل غير آمنة فإن تلك الأمهات يلجأن إلى منع أطفالهن من الخروج من المنزل لقضاء بعض الوقت في اللعب وبالمقابل ستضاعف عدد الساعات التي سيقضونها أمام الشاشة الصغيرة، ورأى الباحثون أن تناقض نشاط الطفل خارج المنزل يؤدي إلى زيادة حجم الطفل ومن ثم تحوله إلى البدانة.

وعليه: ينبغي للولدين أن يراعيا هذا الجانب المهم من حياة الطفل ويمكن

لهما الجمع بين الخروج واللعب خارج المنزل مع المحافظة على أبنائهم من المخاطر التي أصبحت الآن مواكبة لحركة كل فرد في المجتمع من وجود حوادث السير أو انتشار ذوي السلوك المنحرفة وغيرها.

فيمكن للأب أو الأم أن ترافق ولدها أو البنت إلى خارج المنزل في الحدائق المخصصة أو العامة والمراقبة له ولو عن بعد كي يتمكن الطفل من التحرك بحرية وحيوية لا يمكن أن يحصل عليها داخل المنزل وبخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن النظام البنائي في أغلب الدول هو نظام السكن العمودي وهذا يستدعي من المستثمر حساب كل سنتمتر كي يجني أرباحا، مما يضيق الخناق على حركة طفل واحد فكيف إذا كانت الأسرة لها أربعة أو خمسة أطفال.

فعندها لا يبقى أمامهم إما الجلوس أمام جهاز التلفاز مع ما يرافق ذلك من مساوئ وهذا في حال اتفاقهم على برنامج واحد ولون واحد من العرض وإما الشجار فيما بينهم وإما أن تتحول الأسرة وأثاث المنزل هو المتنفس لهذه الحركة.

إذن: يبقى الخروج إلى خارج المنزل واللعب هو أفضل بكثير من الجلوس والحركة داخل المنزل؛ ولكن لا بأس بمرافقة أحد الوالدين أو أحد أفراد الأسرة البالغين كي يتوفر للطفل الأمن والحرية الحركية.

ثانيا: (بحث عقائدي) حسين مني وأنا من حسين

كثيرا ما كنت أسأل نفسي عن الوجه الذي عناه سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم من قوله:

«وأنا من حسين».

باعتبار أن الشطر الأول من القول الشريف:

«حسين مني».

الوجه فيه معروف للكثير، وهو: كونه ابن بنته فاطمة البتول عليها السلام.

ثم وجدت أن هذا الوجه وإن كان قائماً إلا أن سياق الحديث لا يدل عليه بأنه هو المعنى أو المراد أن يتعرف عليه الناس سواء كانوا في زمانه أو سواء من يحيون بعده إلى يوم القيامة.

إذن: ما هو الوجه؟

بالطبع لا أستطيع أن أجزم بما أفاضه قلبي لذهني بأنه هو المعنى والمطابق لعين الواقع الذي عليه رأي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأن هذا يجر والعياذ بالله إلى الخروج من الإيمان.

إلا أنني هكذا فهمت الوجه، وهو: أنه أراد من قوله:

«حسين مني وأنا من حسين».

هو الحكم الشرعي بأجزائه الخمسة (الواجب، والمندوب، والمكروه، والحرام، والمباح).

لأن (أنا) محل صدورها، هو الشريعة التي نزل بها الروح الأمين على قلبه فكانت طاعته طاعة الله عزّ وجل:

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[1].

(١) سورة النور، الآية: ٥٤.

وهنا لم يفصل الوحي بين الله والرسول.

وإتباعه هو محل حب الله:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[1].

وغيرها من الآيات الكثيرة.

ولذلك..

صدور الحكم قولا وفعلا وتقريرا من الحسين عليه السلام هو صدوره من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنه لا يوحى له.

فكان هذا القول والفعل والتقرير لم لا يؤمن بالعصمة محله عند الله ورسوله نفس محل صدوره من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وكأن الخطاب في الحديث موجه إلى عامة المسلمين سواء من اعتقد بأن الإمام معصوم أو لم يعتقد.

وإلا ما المناسبة والضرورة البلاغية في قوله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا من حسين ثم يتبعها بالتلازم والترابط فيما بين حبه عليه السلام، وحب الله المقرونين وتبع لحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾[2].

إذن: هو توجيه لعامة المسلمين الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوا منه والحسين عليه السلام صغيرا بعد لم يبلغ الحلم، كيما إذا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

خرج الحسين إلى العراق لزم عليهم نصرته، فكيف بمن قتله وسبى أطفاله وحرمه.

فهذا وجه.

وللحديث وجه آخر؛ وهذا الوجه يستخلص من كون النتيجة تبعا للمقدمة وإنهما من سنخ واحد.

بمعنى: أن النبي الأعظم عرض في حديثه مقدمة مفادها.

«**حسين مني**».

ونتيجتها:

«**أنا من حسين**».

وكلاهما من سنخ واحد، وهو الإسلام.

بمعنى آخر: بدأ الإسلام منه صلى الله عليه وآله وسلم ودوامه واستمراره وحفظه به صلى الله عليه وآله وسلم ولكن ليس بالتبع وإنما بالعين.

وبمعنى أوضح: هو الإسلام والإسلام هو، فعندما يقول ـ بأبي وأمي ـ (أنا) يعني الإسلام فـ(حسين عين الإسلام) و(الإسلام عين الحسين)! ولعل سائلاً يسأل عن الوجه في ذلك؟

والجواب: يجعل الإمامة في صلبه أولهم ولده علي زين العابدين وتاسعهم قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

بدلالة:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1].

فهذا الظهور للإسلام على الدين كله في الأرض، والذي هو نتيجة للرسالة المحمدية إنما يكون بالحسين وبنيه وجده وأمه وأبيه.

ومن هنا: نجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد ختم حديثه بقوله:

«**حسين سبط من الأسباط**».

والسبط عند العرب هو ولد الابن والابنة[2]، وقالوا أيضا: السبط، أي: الممتد من القصب[3].

والنتائج المرتبة بعضها تلو البعض الآخر ثم ليقول إن الحسين ولد من الأولاد في حال حمل معنى السبط على المعنى الأول.

وعليه: فهو أحد أولئك الخلفاء الذين اصطفاهم الله لامتداد شرعه في الأرض، حين عرض الأمر على الملائكة قائلا ـ جل شأنه ـ:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[4].

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.
(٢) لسان العرب: ج٧، ص٣١٠.
(٣) لسان العرب: ج٧، ص٣٠٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

المبحث السابع

رعاية فاطمة لأبنيها(عليهم السلام) في ضوء المنهج النبوي

المسألة الأولى: تربيتهما على أم الفضائل وهو العدل.

دأب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على رفد ولديه الحسن والحسين عليهما السلام بقيم القرآن والخلق الذي تميز به المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على الخلق أجمعين بشهادة رب العالمين:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

أضف إلى ذلك أن مكتسب هذا الخلق العظيم (لدني) لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لقد أدبني ربي فأحسن تأديبي»[2].

وهذا الأدب اللّدني.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[3].

نقل إلى سبطي هذه الأمة وريحانتيه من الدنيا.

وهنا: لابد من القول بأن الحسن والحسين عليهما السلام حظيا بما لم يحظَ به مخلوق من الحب والرعايا والتربية والتعليم، وحسبك أيها القارئ أن

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) بحار الأنوار: ج١٦، ص٢١٠؛ شرح نهج البلاغة، المعتزلي: ج١١، ص٢٣٣؛ الجامع الصغير، السيوطي: ج١، ص٥١؛ تفسير، الثعلبي: ج١٠، ص١٠؛ تفسير الرازي: ج٦، ص٢١٤.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

تعرف فقط أن معلمهما هو الحبيب عند الله؛ ومن أحب أعطى، فكيف إذا كان المعطي أكرم الأكرمين؟!

وكيف إذا كان العطاء لا يبلى؟ وكيف إذا كان العطاء قد جيد فيه غاية الجود:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[1].

فهذا كله قد سخّر للحسن والحسين عليهما السلام لأنهما ريحانتا الحبيب.

ولأجل ذلك: لم يفارقهما في ليل أو نهار؛ أو يطيب العيش له بدونهما؟ وهما ريحانتاه من الدنيا، لا والله.. فما أسرع الدمع من عينيه لما يراهما ــ كما سيمر بيانه من خلال فصول هذا الباب ــ.

أما كيف دأب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على تأديبهما على العدل منذ الصغر فهو كما يأتي:

أخرج الشيخ الطوسي رحمه الله عن زوجتي النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ميمونة وأم سلمة رضي الله عنهما، قالتا: استسقى الحسن عليه السلام فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجدح له في غمر كان لهم، يعني: قدحا يشرب فيه ثم أتاه به.

فقام الحسين عليه السلام، فقال:

«**اسقنيه يا أبت، فأعطاه الحسن عليه السلام**».

ثم جدح للحسين عليه السلام فسقاه.

(١) سورة الضحى، الآية: ٥.

فقالت فاطمة عليها السلام:

«كأن الحسن أحبهما إليك؟ قال: إنه استسقى قبله، وإني وإياك وهما وهذا الراقد في مكان واحد في الجنة»[1].

نقاط البحث في الحديث:

أولاً: العدل منذ الصغر

من الثوابت التي ـ نعتقد بها ـ أن المعصوم خُلقه القرآن وأدبه نبوي ومن ثم فهو محفوف باللطف الإلهي مسبوق بالتسديد معه للكمال بكينونة كونه أمين الله في أرضه وحجته على عباده، إلا أنه تعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أوصيائه الحسن والحسين منذ الصغر على العدل وهو أم الفضائل إنما لبيان الحجة وإلزام المعترض بأنهما مؤهّلان لقيادة الأمة وصلاح الناس.

فضلاً عن سنة الإنبات التي تحدث عنها القرآن الكريم واصطفائهم لتبليغ الرسالة.

ثانياً: العدالة أشرف الفضائل

يكشف الحديث الشريف عن قيام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بزرع أشرف الفضائل في نفس الحسن والحسين عليهما السلام منذ الصغر ألا وهي العدالة ـ وإن كنا نعتقد بأنهما إمامان اصطفاهما الله وعصمهما عن الخطأ ـ إلا أن هذا لا يمنع من إجراء السنن التكوينية المرافقة لعالم الشهادة.

(١) جامع السعادات، النراقي: ج١، ص١١١ ـ ١١٢.

ولذلك: صنف علماء الأخلاق العدالة بأنها كل الفضائل أو ما يلزمها، كما أن الجور كل الرذائل أو ما يوجبها، لأنها هيئة نفسانية يقتدر بها على تعديل جميع الصفات والأفعال، ورد الزائد والناقص إلى الوسط، وانكسار سورة التحالف بين القوى المتعادية، بحيث يمتزج الكل وتتحقق بينهما مناسبة واتحاد تحدث في النفس فضيلة واحدة تقتضي حصول متوسط بين أفعالها المتحالفة، وذلك كما تحصل من حصول الامتزاج والوحدة بين الأشياء المتخالفة صورة واحدية يصدر عنها فعل متوسط بين أفعالها المتخالفة فجميع الفضائل مترتبة على العدالة، ولذا قال أفلاطون: (العدالة إذا حصلت للإنسان كل واحد من أجزاء نفسه ويستضيء بعضها من بعض، فتنهض النفس حينئذ لفعلها الخاص على أفضل ما يكون، فيحصل لها غاية القرب إلى مبدعها سبحانه).

ومن خواص العدالة وفضيلتها أنها أقرب الصفات إلى الوحدة وشأنها إخراج الواحد من الكثرات والتأليف بين المتباينات، والتسوية بين المختلفات، ورد الأشياء من القلة، والكثرة والنقصان والزيادة إلى التوسط الذي هو الوحدة، فتصير المتخالفات في هذه الرتبة متحدة نوع اتحاد، وفي غيرها توجد أطراف متخالفة متكاثرة، ولا ريب في أن الوحدة أشرف من الكثرة، وكلما كان الشيء أقرب إليها يكون أفضل وأكمل وأبقى وحدانية صارت أكمل مما كان، ولذا قيل كمال كل صفة أن يقارب ضدها، وكمال كل شخص أن يتصف بالصفات المتقابلة يجعلها متناسبة متسالمة ، وتأثير الأشعار الموزونة والنغمات والإيقاعات المتناسبة، وجذب الصور الجميلة للنفوس، إنما هو لوحدة التناسب، ونسبة المساواة في صناعة الموسيقى أو غيرها أشرف

النسب لقربها إلى الوحدة وغيرها من النسب يرجح إليها.

وبالجملة: اختلاف الأشياء في الكمال والنقص بحسب اختلافها في الوحدة والكثرة، فأشرف الموجودات هو الواحد الحقيقي الذي هو موجد الكل ومبدئه، ويفيض نور الوحدة على كل موجود بقدر استعداده كما يفيض عليه نور الوجود كذلك، فكل وحدة من الوحدات جوهرية كانت أو خلقية أو فعلية أو عددية أو مزاجية، فهو ظل من وحدته الحقة وكلما كان أقرب إليها يكون أشرف وجودا، ولولا الاعتدال والوحدة العرضية التي هي ظل الوحدة الحقيقية لم تتم دائرة الوجود، لأن تولد المواليد من العناصر الأربعة يتوقف على حصول الاتحاد والاعتدال، وتعلق النفس الربانية بالبدن إنما هو لحصول نسبة الاعتدال، ولذا يزول تعلقها به بزوالها بل النفس عاشقة لتلك النسبة الشريفة أينما وجدت[1].

ثالثاً: إن العترة عليهم السلام هم جميعا في مكان واحد في الجنة

اعتاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على تطييب قلب فاطمة عليها السلام في كل حادثة تمر أمامها وفيها ولو مجرد إشغال للفكر.

وهنا.. وكونها أماً رحوماً بأولادها استوقفها تقديم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولدها الحسن على الحسين عليهما السلام في سقي الماء، وكلاهما قد طلب شرب الماء من جده صلى الله عليه وآله وسلم.

فبادرت بالسؤال:

---

(١) جامع السعادات: ج١، ص١١١ ـ ١١٢.

«كأن الحسن أحبهما إليك؟».

فأجاب:

«إنه استسقى قبله».

ولم يشأ النبي الأعظم أن تمر الحادثة دون تطييب لهذا القلب، فاتبع كلامه:

«وإني وإياك وهما وهذا الراقد في مكان واحد في الجنة».

وهنا.. تبين حكم شرعي؟ بمعنى أن فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة شرعية يلزم اتباعها فيكون إتباع الوالدين أو أحدهما في التعامل مع أبنائهم قائماً على أسس الاستحقاق، لا على أساس التفاضل في أكثرهما حبا وأقربهما لقلب الأب والأم أو الصغر والكبر.

والملاحظ في فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو سقيه للحسن والحسين عليهما السلام في نفس الوقت ولكن تقديم سقي الحسن عليه السلام لكونه طلب شرب الماء أولا، وهذا يكشف عن عدل سيد الأنبياء والمرسلين في أدق الأمور وأبسطها.

ثانيا: يكشف هذا الحديث عن منقبة خاصة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فحبه للأفراد وإن كانوا أبناءه وفلذة كبده وريحانتيه من الدنيا قائم على الحب الإلهي.

بمعنى: أنه يحب من موقع الطاعة لله عز وجل فمن كان مطيعا لله عز وجل حظي بحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلما ازداد الإنسان في طاعة الله عزّ وجل كلما ازداد حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

أي: إنه لا يحب على أساس عاطفي وجداني حتى وإن كان ريحانته من الدنيا فحبه صلى الله عليه وآله وسلم لهما وكونهما ريحانتيه نابع من كونهما بالدرجة أولى سيدي شباب أهل الجنة وحجتي الله عزّ وجل على الخلق، وإلا فالقرآن منهاجه واضح بالنسبة للأنبياء والمرسلين في حبهم وارتباطهم بذويهم؛ فلاحظ قوله تعالى في نوح وولده:

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[1].

وفي إبراهيم الخليل عليه السلام وأبيه قال عزّ وجل:

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[2].

إذن:

عندما توجّهت بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بالسؤال عن مقدار حب رسول الله للحسن عليه السلام:

«**كأنه أحبهما إليك**».

أجاب:

«**إنه استسقى قبله**».

أي إن الدافع في تقديم الحسن لهذا السبب أما أمر حبي فلا يكون إلا لله عزّ وجل، ولكونه لله فـ:

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

«وإني وإياك وهما وهذا الراقد في مكان واحد في الجنة».

أي: يجمعنا حب الله الذي جعلنا في مكان واحد في الجنة ـ مع حفظ المقامات لكل منهم، بمعنى أنهم صلوات الله عليهم في مكان واحد في الجنة، كأن يكون المكان جنة الفردوس لكن المنزل الذي فيه سيد الخلق يختلف عن المنزل الذي فيه غيره من أهل بيته عليهم السلام وإن كانوا في مكان واحد، والله العالم ونسأله شفاعة محمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم.

والتحقيق: أنها معنى وحداني يختلف باختلاف محالها، فهي في الأجزاء العنصرية الممتزجة اعتدال مزاجي، وفي الأعضاء حسن ظاهري، وفي الكلام فصاحة، وفي الملكات النفسية عدالة، وفي الحركات غنج ودلال، وفي المغنيات أبعاد شريفة لذيذة والنفس عاشقة لهذا المعنى في أي مظهر ظهر، وبأي صورة تجلى، وبأي لباس تلبس.

فإني أحب الحسن حيث وجدته ... وللحسين في وجه الملاح مواقع

والكثرة والقلة والنقصان والزيادة تفسد الأشياء إذا لم تكن بينها مناسبة تحفظ عليها الاعتدال والوحدة بوجه ما وفي هذا المقام تفوح نفحات قدسية تهتز بها نفوس أهل الجذبة والشوق، ويتعطر منها مشام أصحاب التأله والذوق فتعرض لها إن كنت أهلا لذلك[1].

ولذلك.. فهي: (الوسط بين طرفين، والوسط محصور بين الأطراف، والأطراف لا تنحصر عند حدّ)[2].

(١) جامع السعادات: ج١، ص١١٢ ـ ١١٣.
(٢) مقدمة في علم الأخلاق، الحيدري: ص٦٢.

وإذا عرفت شرف العدالة وإيجابها للعمل بالمساواة، ورد كل ناقص وزائد إلى الوسط، فاعلم أنها إما متعلقة بالأفعال؛ أو بالكرامات، وقسمة الأموال، أو بالمعاملات والمعارضات؛ أو بالأحكام والسياسات، والعادل في كل واحد من هذه الأمور ما يحدث التساوي فيه برد الإفراط والتفريط إلى الوسط.

ولا ريب في أنه مشروط بالعلم بطبيعة الوسط، حتى يمكن رد الطرفين إليه؛ وهذا العلم في غاية الصعوبة ولا يتيسر إلا بالرجوع إلى ميزان معرف للأوساط في جميع الأشياء، وما هو إلا ميزان الشريعة الإلهي الصادرة من عند الله سبحانه لحفظ المساواة[1].

ومن هنا: نجد أن سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم كان عادلا حتى في إعطاء الماء لأولاده فقد اتبع المساواة فيما بينهما في سقيه لهما؛ لكن قدم الذي استسقى أولا كي يزرع في قلبيهما أشرف الفضائل ــ وإن كانا كذلك، ولكن عمله إجراء للسنن الشرعية في عالم الملك والشهادة ــ.

المسألة الثانية: تعويذهما عليهما السلام بزغب جناح جبرائيل عليه السلام

من السنن الغيبية التي تدور بين عالم الأرواح هي تأثر لروح الإنسانية بما يحيطها من أرواح العوالم الأخرى ولاسيما عالم الجن الذي تحدث عنهم القرآن في مواضع عدة؛ منها ما أظهر معتقداتهم كقوله تعالى:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾[2].

(١) جامع السعادات: ج١، ص١١٣.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣.

ومنها ما تحدث عن انحرافهم وتأثيرهم على الإنس كقوله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾[1].

وغيرها من الآيات القرآنية.

ولأن هذه الأرواح تدعو إلى عوالم أخرى ولها تأثيرات سلبية على الإنسان فقد جعل الله تعالى بعض السبل التي تقي الإنسان منها وتدفع عنه ضررها، ألا وهي التعويذ.

والتعويذ لغةً، مأخوذ من (العوذ، أي: الالتجاء كالعياذ بالكسر والمعاذة والتعوذ والاستعاذة، أعاذ به يعوذ لاذ به ولجأ إليه واعتصم، وعذت بفلان واستعذت به، أي لجأت إليه، وفي الحديث إنما قالها تعوذا أي إنما أقر بالشهادة لاجئا إليها ومعتصما بها ليدفع عنه القتل، وليس بمخلص في إسلامه.

و(العوذة) بالهاء: (الرقية يرقى بها الإنسان من فزع أو جنون، لأنه يعاذ بها، وقد عوذه، وزعم بعض أرباب الاشتقاق أن أصلها هي الرقية بما فيه أعوذ، ثم عمت، فيقال: عوذت فلاناً بالله وبأسمائه وبالمعوذتين، إذ قلت أعيذك بالله وبأسمائه وبالمعوذتين، إذا قلت أعيذك بالله وأسمائه من كل ذي شر ولك داء وحاسد)[2].

ومن هنا: كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا ما يعوذ

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٩.

(٢) تاج العروس ، الزبيدي، مادة عوذ: ج٥، ص٣٨٠ ـ ٣٨٤.

حسن والحسين عليهما السلام بقراءة سورة الفلق والناس[1]؛ حتى ظن عبد الله بن مسعود أنهما ليستا من القرآن الكريم[2].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعوذهما بهذه الكلمات:

«أعيذكما بكلمات الله التامات وأسمائه الحسنى كلها عامة من شر السامة والهامة ومن شر كل عين لامة ومن شر حاسد إذا حسد».

ثم التفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

«هكذا كان يعوذ إبراهيم إسماعيل وإسحاق عليهما السلام»[3].

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن أبيه يرفعه إلى الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل أنه قال:

«وإذا أراد أحدكم النوم فلا يضعن جنبه على الأرض حتى يقول: أعيذ نفسي وديني وأهلي وولدي ومالي وخواتيم عملي وما رزقني ربي وخولني بعزة الله وعظمة الله، وسلطان الله، ورحمة الله، ورأفة الله، وغفران الله، وقوة الله، وقدرة الله، وجلال الله، وبصنع الله، وأركان الله، وبجمع الله، وبرسول الله

---

(١) مسند أحمد: ج٥، ص١٣٠؛ تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ج١، ص١١٦؛ مسالك الأفهام، الشهيد الثاني: ج١، ص٢١٢.

(٢) المجموع، النووي: ج٣، ص٣٩٦؛ الدر المنثور: ج٦، ص٤١٦؛ تفسير الآلوسي: ج٣٠، ص٢٧٩.

(٣) الكافي، باب الحرز والعوذة: ج٢ ص٥٦٩؛ العقد الفريد، ابن عبد ربه: ج٣، ص٢٢٦؛ مشكل الآثار، الطحاوي: ج٧، ص٣٢٥؛ شرف المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، الخركوشي (مخطوط): مكتبة الأسد بدمشق ويحمل الرقم ٦٨٨٧، ويقع الحديث في الصورة رقم ١٨٢ جهة اليمين؛ بهجة المحافل (مخطوط) يرقد في مكتبة الأسد بدمشق ويحمل الرقم ١٣٤٧١.

صلى الله عليه وآله وسلم بقدرة الله على ما يشاء الله من شر السامة والهامة، ومن شر الجن والإنس، ومن شر ما يدب في الأرض وما يخرج منها، ومن شر ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعوذ بها الحسن والحسين عليهما السلام، وبذلك أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

فهذه الأحاديث لترشد الإنسان إلى سبل النجاة من التأثر بما يحيط به من أخطار متعددة ومتنوعة، إلا أن لفاطمة عليها السلام تعويذاً آخر كانت تعوّذ به ولديها الحسن والحسين عليهما السلام، تعويذاً من نوع خاص لم ولن يكون لغيرهما منذ أن خلق الله الخلق! إنه زغب جناح جبرائيل عليه السلام، فكيف صنعته بضعة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لها؟

روى الأربلي، عن أم عثمان، أم ولد علي بن أبي طالب عليه السلام، قالت كانت لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطيفة يجلس عليها جبرائيل عليه السلام لا يجلس عليها غيره وإذا خرج طويت وكان إذا عرج انتفض فيسقط من زغب ريشه فيقوم فيتبعه ويجعله من تمائم الحسن والحسين عليهما السلام[2]، وفي لفظ: فتلتقطه فاطمة عليها السلام فتجعله في تمائم الحسن والحسين عليهما السلام[3].

وجاء عن ابن شهر آشوب، عن ابن عمر أنه قال: كان للحسن والحسين

(١) الخصال ، الصدوق: ص٦٣١.
(٢) كشف الغمة :ج٢، ص١٧٢.
(٣) المناقب: ج٣، ص١٦٢.

تعوذان حشودهما من زغب جناح جبرائيل عليه السلام[1].

مسائل البحث في الحديث:

أولاً: الحكمة في تخصيص قطيفة لجلوس جبرائيل عليه السلام عليها

١ــ القطيفة: فرش مخملة، وقيل: دثار مخمل، وقيل: كساء له خمل[2]، ومن خلال هذا المعنى يظهر أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان قد هيّأ هذا النوع من الفرش لغرض إظهار الحفاوة والتكريم للجالس عليها وهي سنة نبوية تدل على استحباب تكريم الضيف مع ما يتناسب ومنزلته الدينية العلمية والاجتماعية.

٢ــ إن هذا التخصيص يدل على أن جبرائيل عليه السلام كان يهبط بشكل متواصل على بيت فاطمة عليها السلام وأن هذا الجلوس في أغلب الأحيان هو جلوس استئناس بأهل هذا البيت النبوي عليهم السلام، وإلا كان بالإمكان الوقوف في البيت لإبلاغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما يوحى إليه أو التحليق في فضاء البيت النبوي.

٣ــ أن طوي هذه القطيفة بعد عروج جبرائيل عليه السلام يشير إلى أن هناك زيارات لمختلف الملائكة وهبوطها لزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد دلت عليه كثير من الأحاديث، كقول أنس بن مالك: أن ملك المطر استأذن أن يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأذن له، فقال لأم سلمة:

---

(١) المناقب: ج ٣، ص ١٦٢. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق: ص ١١٣، ط مؤسسة المحمدي.

(٢) لسان العرب، مادة قطف: ج ٩ ، ص ٢٨٦.

«**أملكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد**»[1].

والرواية تكشف أيضا عن حصول الاستئذان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الدخول عليه حسبما تعبر به سياق الرواية بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أذن لميكائيل في زيارته ولذلك قال لأم سلمة أملكي علينا الباب، وأن لفظ (استأذن ربه) التي وردت في مسند أحمد دخيلة على النصّ وقد أوردها أحمد بن حنبل استظهارا لما فهمه هو بدليل أن هذه اللفظة لم ترد في المصادر الأخرى.

ومما يدل عليه استئذان ملك الموت عليه السلام عند حضوره لقبض روح النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم[2]، وإذا كان الحال مع ملك الموت بهذه الكيفية فمن باب أولى استئذان بقية الملائكة عليه قبل دخولها لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم.

رابعا: أن الحكمة في طوي القطيفة بعد خروج جبرائيل عليه السلام يشير إلى حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على حفظ آثار روح القدس بمعنى آخر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتبع أسلوب الزراع في جنيهم لثمار الأشجار، إذ جرت العادة عندهم أن يضعوا أسفل الأشجار المثمرة كالزيتون والكرز وغيرها قطعاً من القماش ليتساقط عليه التمر ثم يجمع.

فمن هذا المعنى كانت فاطمة عليها السلام تفرش هذه القطيفة لتجني ما يتساقط عليها من زغب جناح جبرائيل عليه السلام لحكمة سيمر بيانه، ثم

(١) الأمالي، الطوسي: ص ٣٣٠. مسند أحمد: ج ٣، ص ٢٤٢، مجمع الزوائد: ص ١٨٧.
(٢) الأمالي، الصدوق: ص ٣٤٩، الطبقات الكبرى: ج ٢، ص ٢٥٩.

إنها عليها السلام أرادت بهذا الصنع عدم اختلاط زغب غيره من الملائكة عند نزولهم وزيارتهم إلى رسول الله وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثانيا: الحكمة في جمع زغب جناح جبرائيل عليه السلام

يعرض لنا القرآن الكريم حقائق عدة حول الملائكة ولاسيما جبرائيل عليه السلام فقد أظهر القرآن الكريم في بعض آيات خص الله عزّ وجل بها جبرائيل عليه السلام من خصائص خاصة، منها ما يتعلق بمقامه القربي من الله، ومنها كان يظهر مقامه بين الملائكة. ومنها ما كان يظهر قوته الربانية، فقال عزّ وجل:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾(١).

وفي موضع آخر يظهر القرآن مقامات أخرى كمقام روح القدس الذي ورد في قوله تعالى:

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٢).

فهنا تعددت المقامات فهي (مقام الرسولية، مقام القوة عند ذي العرش، مقام التمكين، مقام الطاقة، ومقام الأمانة).

وأن ما يسقط من زغب جبرائيل عليه السلام يحمل بعض آثار هذه المقامات الربانية ولاسيما مقام القوة والتمكين وروح القدس والقرآن الكريم

(١) سورة التكوير، الآية: ١٩ ـ ٢١.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

يظهر انتقال هذه الخصائص في آثار جبرائيل عليه السلام وتأثر الأشياء الدنيوية بها فمنها تأثر عجل السامري بأثر تراب حافر فرس جبرائيل عليه السلام وانتقال الحياة إليه فإذا له خوار (صوت) يسمعه الناس فافتتنوا به وعبدوه.

قال تعالى:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ* قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[1].

فإذا كانت قبضة من تراب حافر فرس جبرائيل عليه السلام تعيد الحياة إلى تمثال مصنوع من المعادن فإذا له صوت يسمعه الناس[2]، فكيف بالأثر الذي يخلفه زغب جبرائيل عليه السلام على سلامة الحسن والحسين عليهما السلام حينما وضعته فاطمة عليها السلام في تمائمهما.

المسألة الثالثة: استغاثة فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند مرض ولدها الحسين عليهما السلام

من الملازمات البديهية للأم هي حالة الخوف على أبنائها، ولاسيما في حال مرض أحدهم إذ تكون هذه الحالات من أوضح الصور التي يتجلى فيها خوف الأم للعيان، فيظهر عليها القلق والاضطراب وربما الحيرة في كيفية إسعاف ولدها، وجميع هذه الانفعالات النفسية متفاوتة بين الأمهات حسبما

(١) سورة طه، الآية: ٩٥ ـ ٩٦.

(٢) تفسير التبيان، الشيخ الطوسي: ج١، ص٢٣٧؛ جام البيان، الطبري: ج١٦، ص٢٤٨؛ تفسير الثعلبي: ج١، ص١٩٤.

يخالج الأم من مشاعر أمومية قد تكون مفرطة عند بعضهن.

وفاطمة صلوات الله عليها تندفع في هذه الحالات التي تظهر فيها عاطفة الأمومة كما هو حال الأمهات لكن الفارق بين بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبين باقي الأمهات هو التسليم لأمر الله وحسن الظن به عز وجل والالتجاء إلى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كي يدعو الله لولدها في مرضه كما تظهر الرواية هذه الخصال. فقد روى المحدث النوري، عن القطب الراوندي قال: (قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«اعتل الحسين عليه السلام فاحتملته فاطمة عليها السلام فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله أدع الله لابنك أن يشفيه، إنّ الله هو الذي وهبه لك، وهو القادر على أن يشفيه.

فهبط جبرائيل عليه السلام، فقال: يا محمد إن الله تعالى لم ينزل عليك سورة من القرآن إلا فيها فاء، وكلّ فاء من آفة ما خلا الحمد، فإنه ليس فيها فاء فادع بقدح من ماء فاقرأ عليه الحمد أربعين مرة ثم صب عليه، فإن الله يشفيه».

ففعل ذلك، فعوفي بإذن الله)[1].

والحديث يكشف عن مسائل عدة:

أولاً: الالتجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل صغيرة وكبيرة

تضع الزهراء عليها السلام لنا منهاجا عقائديا في الاستغاثة والالتجاء إلى

(١) مستدرك الوسائل: ج٤، ص٣٠٠.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقديمه بين يدي حاجاتنا كي يقضيها الله تعالى به صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا كان بالإمكان أن تهرع إلى زوجها أمير المؤمنين عليهما السلام وهو الحال الذي تتبعه الأمهات، إلا أن فاطمة التجأت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد ورد في الأثر أن رجلا ضريراً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسأله أن يدعو له بالشفاء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، فهو خير لك».

قال الرجل: فادعه. قال الراوي: فأمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء:

«اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي ليقضي لي، اللهم شفعه فيّ»[1].

ثانياً: مراتب التوحيد وأثرها في قضاء الحاجات.

ترشدنا بضعة الهادي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملازمة في مراتب التوحيد فلا يرتقي الإنسان من مرتبة إلى أخرى ما لم يكن محصلا لكليهما، بمعنى لا يحصل الشفاء بدون الاعتقاد بأن الله هو الذي وهب هذه النعمة وهو المالك لها ولذا فهو القادر وحده عز وجل على منح الشفاء لما يملك.

وهنا وقفة في غاية الأهمية: إذ يعتقد الأبوان ولاسيما الأم بالتملك لهذه

(١) أورده تقي الدين السبكي في شفاء السقام: ص٣٠١، وأتبعه بقوله: قال الترمذي هذا حديث صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه؛ وقد أخرجه أحمد في المسند: ج٤، ص١٣٨؛ والحاكم في المستدرك: ج١، ص٣١٤؛ والنسائي في السنن الكبرى: ج٦، ص١٦٩.

النعمة، أي نعمة الولد متوهمين بين هذا الإحساس وبين إحساس الوالدية فلا يستطيعون حينها التفريق بين هذين الشعورين إذ ينصرف ذهن الأم إلى طلب الشفاء والعافية لولدها دون أن تشعر أنها تطلب أمرا لشيء هي لا تملكه وقلنا إحساسها بالأمومة يغلب على إحساسها وحضورها القلبي إلا أن المالك هو الله عز وجل وهو الذي يبتلي وهو الذي يشفي.

ولذا: قدمت في حديثها عليها السلام رتبة الملكية للخالق عز وجل على رتبة طلب العافية، ولو حرص الإنسان على هذه الرتبة من التوحيد لقضيت جميع حاجاته الدنيوية والأخروية.

ثالثاً: الاستشفاء بكتاب الله تعالى

تضافرت النصوص في بيان أثر الاستشفاء بالقرآن الكريم كقوله تعالى:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[1].

وقد ورد في تفسيرها: أنّ الـ(من) هنا بيانية، تبين معنى قوله تعالى:

﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾.

بمعنى: وننزل ما هو شفاء ورحمة، وهو القرآن.

وعدّ القرآن شفاء؛ والشفاء إنما يكون عن مرض دليل على أن للقلوب أحوالا نسبة القرآن إليها نسبة الدواء الشافي إلى المرض، وهو المستفاد من كلامه سبحانه حيث ذكر أن الدين الحق فطري للإنسان فكما أن للبنية

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

الإنسان التي سويت على الخلقة الأصلية قبل أن يلحق بها أحوال منافية وآثار مغايرة للتسوية الأولية استقامة طبيعية تجري عليها في أطوار الحياة، كذلك لها بحسب الخلقة الأصلية عقائد حقة في المبدأ والمعاد وما يتفرع عليهما من أصول المعارف، وأخلاق فاضلة زاكية تلائمها ويترتب عليها من الأحوال والأعمال ما يناسبها.

فللإنسان صحة واستقامة روحية معنوية كما أن له صحة واستقامة جسمية صورية وله أمراض وأدواء روحية باختلاف أمر الصحة الروحية كما أن له أمراضا وأدواء جسمية باختلاف أمر الصحة الجسمية ولكل داء دواء ولكل مرض شفاء.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أناس من المؤمنين أن في قلوبهم مرضا وهو غير الكفر والنفاق الصريحين كما يدل عليه قوله:

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾[2].

وليس هذا المسمى مرضا إلا ما يختل به ثبات القلب واستقامة النفس من أنواع الشك والريب الموجبة لاضطراب الباطن وتزلزل السر والميل إلى الباطل وإتباع الهوى مما يجامع إيمان عامة المؤمنين من أهل أدنى مراتب

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.
(٢) سورة المدثر، الآية: ٣١.

الإيمان ومما هو معدود نقصا وشركا بالإضافة إلى مراتب الإيمان العالية.

وقد قال تعالى:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[1].

وقال:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2].

والقرآن الكريم يزيل بحججه القاطعة وبراهينه الساطعة أنواع الشكوك والشبهات المعترضة في طريق العقائد الحقة والمعارف الحقيقة ويدفع بمواعظه الشافية وما فيه من القصص والعبر والأمثال والوعد والوعيد والإنذار والتبشير والأحكام والشرائع عاهات الأفئدة وآفاتها فالقرآن شفاء للمؤمنين.

وأما كونه رحمة للمؤمنين والرحمة إفاضة ما يتم به النقص ويرتفع به الحاجة فلأن القرآن ينور القلوب بنور العلم واليقين بعدما يزيل عنها ظلمات الجهل والعمى والشك والريب، ويحليها بالملكات الفاضلة والحالات الشريفة الزاكية بعدما يغسل عنها أوساخ الهيئات الردية والصفات الخسيسة.

فهو بما أنه شفاء يزيل عنها أنواع الأمراض والأدواء وبما أنه رحمة يعيد إليها ما افتقدته من الصحة والاستقامة ويهيئها لقبولها، وبكونه رحمة يلبسه لباس السعادة وينعم عليه بنعمة الاستقامة، فالقرآن شفاء ورحمة للقلوب المريضة كما أنه هدى ورحمة للنفوس غير الآمنة من الضلال، وبذلك تظهر

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

النكتة في ترتب الرحمة على الشفاء في قوله:

﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فهو كقوله:

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

فمعنى قوله:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

وننزل إليك أمرا يشفي أمراض القلوب ويزيلها ويعيد حالة الصحة والاستقامة فتتمتع من نعمة السعادة والكرامة[3].

رابعاً: أثر سورة الحمد في الشفاء

إنّ الكثير من النصوص الشريفة لترشد الإنسان المؤمن إلى دور سورة الحمد في شفاء المريض وهي كالآتي:

١ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«**ما قرأت الحمد على وجع سبعين مرة إلا سكن**»[4].

٢ ـ وقال عليه السلام: «**قراءة الحمد شفاء من كل داء إلا السام**»[5].

٣ ـ وقال عليه السلام:

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٢.
(٣) تفسير الميزان: ج١٣، ص١٨٤.
(٤) الدعوات، الراوندي: ص١٨٩.
(٥) فقه الرضا عليه السلام: ص٣٤٦.

«من نالته علة فليقرأ في جيبه الحمد سبع مرات فإن ذهبت العلة، وإلا فليقرأها سبعين مرة، وأنا الضامن له العافية»[1].

٤ ـ قال عليه السلام:

«لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة فردت فيه الروح ما كان ذلك بعجيب»[2].

٥ ـ قال عليه السلام:

«من لم تبرئه الحمد لم يبرئه شيء»[3].

المسألة الرابعة: نذرها عليها السلام لشفاء الحسن والحسين عليهما السلام

ما زلنا في طور الحديث عن الحالة الوجدانية للوالدين عند مرض أحد أبنائهما، وكيفية التعامل مع تلك الأجواء التي تتعاظم على نفس الوالدين حينما يمرض أكثر من ولد لهما في آن واحد. وهنا في هذا المبحث نحاول استظهار المنهج التربوي الذي قام به أمير المؤمنين وسيدة النساء عليهما السلام في كيفية التعامل مع حالات كهذه كي يكون مرشدا للآباء والأمهات في رعاية أبنائهما.

أولا: ما ورد في الأثر عن كيفية وقوع الحادثة

روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن سلمة بن خالد، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه في قوله عزّ وجل:

---

(١) وسائل الشيعة، باب استحباب تكرار الحمد: ج٦، ص٢٣٢.
(٢) الكافي، باب فضل القرآن: ج٢، ص ٢٣.
(٣) وسائل الشيعة، باب استحباب تكرار الحمد: ج٦، ص٢٣٢.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾.

قال عليه السلام:

«مرض الحسن والحسين عليهما السلام، وهما صبيان صغيران، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه رجلان».

فقال أحدهما: يا أبا الحسن، لو نذرت في ابنيك نذرا إن الله عافهما.

فقال عليه السلام:

«أصوم ثلاثة أيام شكرا لله عزّ وجل، وكذلك قالت فاطمة عليها السلام، وقال الصبيان: ونحن نصوم ثلاثة أيام وكذلك قالت جاريتهم فضة، فألبسهما الله عافية، فأصبحوا صياما وليس عندهم طعام».

فانطلق علي عليه السلام إلى جار له في اليهود يقال له شمعون يعالج الصوف، فقال:

«هل لك أن تعطيني جزة صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصوع من شعير؟».

قال: نعم.

فأعطاه فجاء بالصوف والشعير، وأخبر فاطمة عليها السلام، فقبلت وأطاعت، ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف، ثم أخذت صاعا من الشعير، فطحنته وعجنته، وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرص، وصلى علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم المغرب، ثم أتى منزله، فوضع الخوان وجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرها علي عليه السلام، إذا مسكين

قد وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة، فوضع اللقمة من يده، و(طلب من فاطمة عليها السلام أن تعطي طعامه إلى هذا المسكين)[1]، فأقبلت فاطمة عليها السلام وعمدت إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين، وباتوا جياعا وأصبحوا لم يذوقوا إلا الماء القراح[2].

ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته، ثم أخذت صاعا من الشعير فطحنته وعجنته، وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد قرص، صلى علي عليه السلام وجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرها علي عليه السلام إذا بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب، فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة، فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده، ثم (طلب منها أن تعطيه طعامه) ثم عمدت فاطمة فأعطته جميع ما على الخوان وباتوا جياعا لم يذوقوا إلا الماء القراح، وأصبحوا صياما، وعمدت فاطمة عليها السلام فغزلت الثلث الباقي من الصوف وطحنت الصاع الباقي وعجنته، وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد قرص، وصلى علي عليه السلام إذا بأسير من أسراء المشركين قد وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا! فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده ثم قال: فاطمة يا بنت النبي أحمد (الخ الأبيات).

(١) ما بين المعقوفتين، غير تابع للنص أوردناه اختصارا للأشعار، ومن رغب في الاطلاع عليها فليراجع، الأمالي ، الصدوق: ص ٣٢٩.

(٢) القراح، الخالص، أي: لم يفطروا على غير الماء.

فأقبلت فاطمة عليها السلام وهي تقول: لم يبق مما كان غير صاع (الخ قولها عليها السلام) وعمدوا إلى ما كان على الخوان فأعطوه، وباتوا جياعا، وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء. قال شعيب في حديثه:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾.

وأقبل علي بالحسن والحسين عليهم السلام نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«يا أبا الحسن، شد ما يسوءني ما أرى بكم، انطلق إلى ابنتي فاطمة».

فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضمها إليه وقال:

«وا غوثاه بالله، أنتم منذ ثلاث فيما أرى!».

فهبط جبرائيل عليه السلام فقال:

«يا محمد، خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك».

قال:

«وما آخذ يا جبرائيل؟».

قال عليه السلام: **﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾**[1].

حتى إذا بلغ.

(١) سورة الإنسان، الآية: ١.

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾[1].

فوثب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل منزل فاطمة عليها السلام فرأى ما بهم فجمعهم، ثم أنكب عليهم يبكي ويقول:

«أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم!».

فهبط جبرائيل عليه السلام بهذه الآيات:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[2].

قال عليه السلام:

«وهي عين في دار النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين».

قال الله تبارك وتعالى:

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾.

يعني عليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجاريتهم فضة.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

يقول: عابسا كلوحا.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾

يقول: على شهوتهم للطعام وإيثارهم له.

(١) سورة الإنسان، الآية ٢٢.

(٢) سورة الإنسان، الآيتان: ٥ ـ ٦.

﴿مِسْكِينًا﴾.

من مساكين المسلمين.

﴿وَيَتِيمًا﴾.

من يتامى المسلمين.

﴿وَأَسِيرًا﴾.

من أسارى المشركين ويقولون إذا أطعموهم:

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.

قال: والله ما قالوا هذا لهم، ولكنهم أضمروه في أنفسهم فأخبر الله بأضمارهم، يقولون: لا نريد منكم جزاءً تكافئوننا به ولا شكورا تثنون علينا به، ولكنا إنما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه.

قال الله تعالى ذكره:

﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾

في الوجوه.

﴿وَسُرُورًا﴾.

في القلوب.

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً﴾.

يسكنونها.

﴿وَحَرِيرًا﴾

يفترشونه ويلبسونه.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾.

والأريكة السرير عليه الحجلة.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.

قال ابن عباس: فبينا أهل الجنة في الجنة إذ رأوا مثل الشمس قد أشرقت لها الجنان، فيقول أهل الجنة: يا رب إنك قلت في كتابك:

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾

فيسر الله جل اسمه إليهم جبرائيل، فيقول: ليس هذه شمس، ولكن عليا وفاطمة ضحكا فأشرقت الجنان من نور ضحكهما، ونزلت:

﴿هَلْ أَتَى﴾

فيهم إلى قوله تعالى:

﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾[1].

وصلى الله على رسوله محمد وآله الطاهرين[2].

والحديث نقلناه بتمامه لاشتماله على مسائل عديدة في التربية الأسرية، والتربية الاجتماعية، والأخلاقية سنعرض لها إن شاء الله تعالى.

ثانيا: مشاركة الأبوين في الاهتمام بالمريض وأثرها في التربية الأسرية

يرى بعض المختصين في التربية الأسرية: «أن الأطفال عندما يمرضون

(١) سورة الدهر، الآيات: ١ ـ ٢٢.
(٢) أمالي الصدوق: ص٣٣٣.

يصبح الاهتمام بهم أمرا متعبا جدا للأهل جسديا وعقليا وذلك بسبب الشعور بالقلق والتوتر إضافة إلى فقدان الرغبة بالنوم وضعف الشهية.

لذلك من المهم أن يعتني الوالدان بأنفسهما أولا، وهذا يعني بأن يجبروا أنفسهما على تناول الطعام الغني بالفيتامينات، حتى يكونوا أقوياء عند العناية بالطفل، ويمكنهما التناول للعناية به حتى يحصل كل فرد منهما على الراحة والغذاء المناسبين).

ثم يقدم المصدر بعض النصائح للأم كونها المعني الأول بالعناية بالطفل المريض داخل الأسرة.

١ــ لا تظهري خوفك، وطمئني الطفل وأخبريه بأن كل شيء على ما يرام، أما إذا كان الطفل يفهم أخبريه ما مرضه، وانصحيه تناول الدواء بانتظام ليشفى بسرعة لأن الطفل إذا رأى قلقك وخوفك حتى الأطفال الرضع يستطيعون الإحساس بخوفك فكيف يثق بك أو بنفسه أو بالدواء؟ إن حالتك النفسية ضرورية لأنها تعكس على نفسية الطفل لذلك أظهري دائما بمظهر المتفائل والمتبهج، لأن هذا يرفع معنويات الطفل.

٢ــ أسسي علاقة جيدة مع طبيبه، واختاري طبيبا تطمئنين له فالطبيب الجيد والمهني سيوفر لك الدعم أو يوجهك إلى مجموعة من الأهل مروا بمثل حالة طفلك ليوفروا لك الدعم والنصائح.

٣ــ دعي الجميع مما يرفع معنوياته ويمنحك ذلك بعض الوقت لترتاح ويخفف عنك بعض الأعباء النفسية والجسدية.

٤ــ لا تهملي احتياجات الأطفال الآخرين إذا كان لديك أطفال آخرون في

البيت، بل حثيهم على العناية بشقيقهم المريض واشرحي لهم بأن هذه الحالة مؤقتة حتى يشفى وأنهم لاقوا نفس الاهتمام عندما مرضوا.

فقد يشعرون بالاستياء من شقيقهم المريض لأنه يستحوذ على اهتمام الجميع وقد يتصرفون بطريقة تزعج الطفل المريض مثل الابتعاد عنه مما يسبب التوتر والغضب للطفل المريض، يمكنك أيضا توجيههم فربما لا يعرفون كيف يعتنون به مثلا أطلبي من أحدهم أن يقرأ له قصة، أو يرسم له رسما جميلا، ولا تطلبي منهم الخروج والابتعاد عن الطفل إلا إذا كان المرض معديا.

٥ــ أتركي خطوط التواصل مفتوحة بينك وبين الشريك، فمن المهم أن تتناقشا ولكن بهدوء، لا تثيرا غضب بعضكما ولا تلوما بعضكما، فالمرض أصبح واقعا والمهم الخروج من الأزمة والوقاية منها في المستقبل، إن التوتر في العلاقة قد يسبب تراجعا في حالة الطفل الذي سيشعر بأنه السبب ومن ثم يزداد شعوره بالإحباط حتى الأطفال الرضع يشعرون بالتوتر بين أهلهم[١].

فهذه مجموعة من النصائح التي يراها بعض المختصين تنفع الأسرة في رعاية الطفل والعناية به وأثر ذلك في المستوى التربوي للأبناء.

في حين أننا وجدنا أن لعلي وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما منهجا آخر في التعامل مع الطفل المريض والعناية به ليس فقط على المستوى الأسري وإنما على المستوى التربوي والنشأوي والاجتماعي والأخلاقي وهذا ما كشفته الرواية التي نصت على نزول سورة الإنسان فيهما وفي ولديهما

(١) WWW.gulfson , WWW.balogh.com)

الحسن والحسين عليهما السلام.

ففي المستوى التربوي والنشأوي للأسرة نجد أن عليّاً وفاطمة عليهما السلام اهتما اهتماما بالغا في العناية بولديهما المريضين، بل إننا وجدنا أن الجميع قد شاركوا في هذه العناية والرعاية، وأنهم قد تعايشوا الحالة بأجواء خاصة تغمرها المحبة والرأفة والتوجه إلى الله بالدعاء والتضرع ليمن على هذا المريض بالشفاء.

وهذه حالة قل نظيرها، بل لا نبالغ إن قلنا إنها حالة فريدة وقد شهد الوحي بها فكم من أسرة مؤمنة تسلك سبيل التضرع إلى الله في شفاء ولدها المريض، لكن أن تجتمع الأسرة بما فيها المريض على قصد واحد وهو التضرع إلى الله بالشفاء فهذه حالة خاصة جمعت في أهل هذا البيت النبوي لتنطلق منه إلى كل أسرة مؤمنة بالله واليوم الآخر، وهذا أولا.

ثانيا: ليس من المبهم على ذي الاختصاصات بالعلوم الاجتماعية والنفسية أثر العامل النفسي في المريض في سرعة امتثاله للشفاء أو تباطؤ ذلك، وقد يكون الأمر عكسيا فيؤدي العامل النفسي إلى انتكاسة صحّية طويلة الأمد.

ولذلك نجد أن المريض يضع في ذهنه بادئ بدء شخص الطبيب وأنه القادر على شفائه ولذا يبحث عن أي شيء يعزز له هذا الشعور كي يثبت الثقة في نفسه وأنه سيمثل للشفاء على يد هذا الطبيب، فنراه يسعى بكل جهد للبحث عن أشهر الأطباء وأحذقهم في التشخيص وقد يبذل الأموال الطائلة من أجل العلاج في أرقى وأشهر المشافي في هذا البلد أو ذاك.

في حين لو أننا استطعنا أن نثقّف المريض على حسن الظن بالله عزّ وجل

وأنه هو الواهب للشفاء وأن هؤلاء الأطباء ومراكزهم الصحيحة ما هي إلا وسائل قد تنجح وقد تفشل مالم يأذن الله عزّ وجل بالشفاء لما ساءت حالته النفسية ولما كان يبذل هذه الأموال وهو يعتقد أنه يشتري الشفاء من هذه المشفى أو تلك غافلا أن أرقى المشافي لا يمكن أن تمنعه من التعرض لأبسط الأمراض فكيف بعلاج العسير منها.

ولذلك: يبقى العامل النفسي مؤثرا في شفاء المريض وهذا العامل لا يمكن أن ينمو بدون أن يثقف المريض ويربى منذ الصفر على الثقة بالله وحسن الظن به والاعتقاد القوي بأنه الوحيد القادر على أن يهب لعباده الحياة والعافية.

ومن هنا: نجد أن الأجواء الإيمانية والروحانية التي عاشها الحسن والحسين عليهما السلام وهما يريان أبويهما قد نذرا لله تعالى أن يصوما ثلاثة أيام إن منّ عليهما بالشفاء قد انعكست على نفسيهما انعكاسا إيمانيا قويا ولذا نراهما عليهما السلام قد شاركا أبويهما في نية النذر لله على شفائهما فأي أجواء روحانية وتربوية تلك التي عاشها أهل هذا البيت النبوي عليهم السلام!

ثالثاً: أثر المشاركة الجماعية لأفراد الأسرة في التربية الاجتماعية

ومما أسست له الحادثة في المستوى الاجتماعي هو خلق روح المساهمة في بذل الخير والتواصل مع الناس وتلبية احتياجاتهم ولاسيما أولئك الذين كانت لهم احتياجات خاصة كالمساكين واليتامى والأسرى وكل هؤلاء يجمعهم عامل نفسي واجتماعي واحد وهو العوز والافتقار إلى الغير في تلبية أبسط احتياجاتهم الحياتية ألا وهي الطعام والكلمة الطيبة المعبرة عن الشعور

بالغير وتحسس آلامه وأنه ينتمي إلى هذا المجتمع الإنساني، فلو فقدت هذه الجوانب الحسية من الإنسان لأصبح المجتمع أقرب ما يمكن أن يوصف أنه مجتمع الغاب.

ومن هنا يبرز الأثر الكبير والمتميز الذي أظهرته الحادثة في تنشئة الأبناء وتربيتهم على الشعور بالغير والمساهمة مع الوالدين في بذل الخير للمحتاجين الذين حددتهم الآية المباركة بثلاثة أصناف، وهم المسكين واليتيم والأسير، لاسيما وأن هذه المشاركة والمساهمة في بذل الطعام لهم على الرغم من احتياجهم إليه يزرع في النفس شعور الإحساس بالآخر، إذ المريض يحرص بشكل كبير على رؤية الآخرين من حوله وأنهم يشاركونه همه ويحاولون أن يبدّدوا عنه آلامه وشعوره بالخوف والقلق.

هذه الأحاسيس إلى الغيرية تظهر لدى الإنسان في حالة المرض وتتطور كلما اشتدت حالة المريض، ولذا نجد أن هناك كما كبيرا من الأحاديث الشريفة تحث الإنسان المسلم على عيادة المريض لغرض خلق حالة فعالة من التواصل الاجتماعي والإنساني والمحافظ على الشعور بإنسانية الإنسان.

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله: صلى الله عليه وآله وسلم:

«من عاد مريضا ناداه مناد من السماء باسمه يا فلان طبت وطاب لك ممشاك بثواب من الجنة»[1].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

(١) الكافي، باب ثواب عيادة المريض: ج٣، ص١١٩.

«كان فيما ناجى به موسى ربه أن قال: يا رب ما بلغ من عيادة المريض من الأجر؟ فقال الله عز وجل أوكل به ملكا يعوده في قبره إلى محشره»[1].

فهذه الأحاديث وغيرها تكشف عن إحساس المريض بالاحتياج إلى غيره وأن عيادته تنمي عنده الإحساس بضرورة أن يسهم في تلبية احتياجات أخوانه فلقد عاش لحظة الشعور بالألم حينما كان مريضا وهو ينظر إلى أهله ويلتمس عطفهم وحنانهم وحضورهم عنده.

إذن: الحادثة تكشف عن استثمار هذه الحالات الوجدانية عند الإنسان المريض وتنميتها في التربية الاجتماعية لغرض التواصل والمساهمة في تلبية احتياجات ذوي الاحتياجات من أبناء المجتمع.

رابعا: استثمار حالة مرض الطفل في زرع الفضائل الأخلاقية في نفسه

من المناهج التربوية التي أظهرتها الحادثة، منهج التربية الأخلاقية وزرع القيم الإنسانية والفضائل الأخلاقية عند الأبناء في حالة مرضهم وهذه في الواقع حالة خاصة لم يلتفت إليها ذوو الاختصاصات في العلوم النفسية والاجتماعية ــ بحسب ما توفر لدينا من مصادر ــ.

إذ الغالب عند جميع الأسر أن الطفل الذي يمرض تسوء أخلاقه وتكثر احتياجاته وقد يستغل البعض منهم عطف والديه فيتدلل عليهم، فضلاً عن تبذر بعض الأخلاق السيئة في نفس الطفل في هذه المدة من خلال إحساسه بأنه المفضل لدى والديه وأنه ينال منهم أكثر مما يناله أخوانه فيرى في نفسه

(١) من لا يحضره الفقيه، باب غسل الميت: ج١، ص١٤١؛ الدعوات، الراوندي: ص٢٢٢؛ ثواب الأعمال، الصدوق: ص١٩٤.

الفوقية عليهم وقد يفتعل بعض المشاكل كي يحصل على المزيد من هذا العطف والرعاية.

فضلاً عن انعكاس ذلك سلبيا على بقية أفراد الأسرة.

أما إذا تماثل الطفل للشفاء وذهب المرض عنه فإنه سيلمس تغيرا ملحوظا في رعاية والديه له وقلة اهتمامهم به فيندفع إلى التمرض أو إيقاع نفسه بالمرض وإيقاعهما بالأذى كي يعيد تلك الأجواء التي عاشها مع والديه وتميزه عن أخوانه.

في حين أننا وجدنا في بيت علي وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما، أن الحالة مغايرة تماما لهذه الحالات والأجواء فمن حيث المشاركة فنجد أن الجميع كان مهتما وعلى مستوى واحد حتى بالنسبة إلى الخادمة فضة رضي الله عنها.

وأما من حيث استثمار هذه الظروف التي يمر بها الطفل فقد قام الوالدان عليهما السلام بزرع الفضائل الأخلاقية التالية:

١ـ الصبر.

٢ـ الإيثار.

٣ـ الجود.

٤ـ الوفاء.

٥ـ الإيمان بالغيب.

ألف: زرع فضيلة الصبر في نفس الطفل عند مرضه

مما لا شك فيه أن أول الفضائل الأخلاقية التي يحتاج إليها المريض هي الصبر، بل إنها أول الفضائل ظهورا وبما أن الطفل عادة لا صبر له على المرض لاختلافهما مع طبيعته ومع المرحلة العمرية التي يمر بها الإنسان، إذ يندفع الطفل إلى الحركة دون الالتفات إلى المحاذير والنواهي فإن الصبر هو أول المحاذير التي يواجهها الطفل وهي أول الفضائل التي ينبغي للوالدين أن يلتفتوا إليها ويسرعوا في زرعها في نفس ولدهما المريض.

إلا أن البعض لا يعي بشكل جيد كيفية زرع هذه الفضيلة الأخلاقية في حالات كهذه يمر بها أطفالهم فيطالبونهم بالمكوث في الفراش وتجرع مرورة الدواء وألم وغز الأبر ويتناسون تعويد الطفل على اللجوء إلى الله تعالى والحديث عن صبر الأنبياء والأولياء وشدة ابتلائهم وما أعده الله تعالى للصابرين.

بل إن الوالدين ليغفلان عن نفسيهما فلا يظهران لأطفالهم هذه الفضيلة الأخلاقية فالآباء والأمهات هم مبتلون أيضا فالمريض ولدهما فإن كانا صبورين ومتوجهين إلى الله تعالى بالدعاء سينعكس ذلك على الأطفال دونما شك وسيزرعان هذه الفضيلة الأخلاقية في نفوس أطفالهم.

ومن هنا: نجد أن الحسن والحسين عليهما السلام قد أظهرا من الصبر ما أظهره والديهما فقد شاركا في الصوم والصبر عليه وأسهما كذلك في الإنفاق والصبر مع والداهما على الجوع ثلاثة أيام متواصلة فكان صبرهما في هذه الأيام كصبر والديهما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وتتميماً للبحث نذكر حديثين في فضيلة الصبر وعلاقته بالإيمان

روى الصدوق رحمه الله عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام أنه قال:

«**رأس طاعة الله الصبر والرضا**»[1].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«**رأس الإيمان الصبر**»[2].

باء: زرع فضيلة الإيثار في نفس الطفل عند مرضه

قالوا في اللغة: آثره، أكرمه، وآثره عليه، وفي الشريك:

﴿**لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا**﴾[3].

وآثرت فلانا على نفسي: من الإيثار.

وقال الأصمعي: آثرتك إيثارا، أي فضلتك[4].

من الفضائل الأخلاقية التي تظهر بشكل واضح أمام المريض هي الإيثار، إذ يلمس المريض إيثار والديه له على نفسيهما وتقديمه في أولويات اهتماماتهما وهو قد لا يلتفت إلى أنهما يتصرفان ضمن نطاق الفضيلة الأخلاقية.

إذ قد يتبادر إلى ذهن المريض أن هذا الذي يراه هو من وحي العاطفة

(١) فقه الرضا عليه السلام ، علي بن بابويه: ص٣٣٩.
(٢) عيون الحكم والمواعظ ، الواسطي: ص٢٦٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٩١.
(٤) لسان العرب، مادة (أثر): ج٤، ص٧.

الأبوية وأن لا علاقة للإيثار بالذي يفعلان في حين أن العاطفة لا علاقة لها بالإيثار إذ محرك العاطفة الأبوية هو الغريزة والفطرة التي فطر الله عليها الخلق سواء بسواء إلا أن المصاديق فيما بين المخلوقات تختلف فالحيوانات والطيور وغيرها ترعى أبناءها وبني جنسها من بواعث الغريزة الرحمانية التي فطر الله الخلق عليها كي تدوم الحياة على الأرض.

بينما الإيثار دافعه الفضيلة الأخلاقية التي منشأها العقل وحكمه بتكريم هذا أو تقديم ذاك أو تفضيل ذلك ولذلك: لا يتصرف الأبوان من وحي العاطفة الأبوية فقط وإنما من خلال تحليهما بالفضائل الأخلاقية فهناك بعض الآباء والأمهات يقومون بتأدية واجباتهم اتجاه أبنائهم إلا أنهم لا يظهرون لهم العواطف كما أن هناك من يظهر العواطف الممزوجة بالإيثار وهو ما يغمر الابن بعناية فائقة يتعاظم معها الشكر لهما.

والمهم في الأمر: كيف يلتفت الآباء والأمهات إلى زرع الإيثار في حالات مرض أبنائهم، بمعنى أن يسهم الابن في الإحساس بوالديه وما يبذلان من مجهود عظيم في تفضيله وإكرامه على أنفسهما، وإنهما يؤثرانه فيبادر هو كذلك بتخفيف الخوف عنهما وأنه في حالة حسنة وأن يهم بقضاء حوائجه قدر المستطاع فلا يترك المرض يسيطر عليه.

وهذا كله ممكن الحصول فيما لو تحدث الوالدان عن تلك الأخلاق والفضائل مع أبنائهما وأن يدربا أخوان المريض على تنمية هذا الشعور وأنهم يؤثرون هذا الأخ المريض على أنفسهم.

وعند الرجوع إلى المنهج التربوي الأخلاقي لعلي وفاطمة صلوات الله عليهما في رعاية ولديها أثناء مرضهما نجد أن حالة الإيثار التي قام بها الأب، أي أمير المؤمنين عليه السلام لهذا المسكين الذي وقف عند الباب يسأل شيئا من الطعام وتقديم الإمام عليه السلام طعامه من الإفطار إليه وإيثاره لهذا المسكين وسلوك الزهراء عليها السلام هذا السلوك دفع بابنيهما عليهما السلام أن يحذوا حذو والديهما فيؤثران المسكين على أنفسهما.

ولو عمد الوالدان على زرع هذه القيم الأخلاقية واستخدما هذه المناهج التربوية داخل الأسرة لضمنّا خروج أبناء صالحين في المجتمع، لاسيما إذا قرنت هذه الأساليب التربوية بذكر بعض الأحاديث الكاشفة عن منزلة أثر هذه الفضائل على النفس الإنسانية وقوة تأثيرها في إصلاح النفس.

ومن ذلك، الحديث الذي رواه الشيخ الكليني رحمه الله، عن جميل بن دراج، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«خياركم سمحاؤكم وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الإيمان البر بالإخوان، والسعي في حوائجهم، وأن البار بالإخوان ليحبه الرحمن، وفي ذلك مرضمة للشيطان وتزحزع عن النيران ودخول الجنان، يا جميل أخبر بهذا غرر أصحابك».

قلت: جعلت فداك من غرر أصحابي؟ قال عليه السلام:

«هم البارون بالإخوان في العسر واليسر».

ثم قال:

«يا جميل أما إن صاحب الكثير يهون عليه ذلك وقد مدح الله عز وجل في ذلك صاحب القليل»[1].

فقال في كتابه:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

٢ـ وعن علي بن سويد السائي، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: أوصني؟ فقال عليه السلام:

«آمرك بتقوى الله».

ثم سكت، فشكوت إليه قلة ذات يدي وقلت: والله لقد عريت حتى بلغ من عريتي أن أبا فلان نزع ثوبين كانا عليه وكسانيهما.

فقال عليه السلام:

«صم وتصدق».

قلت: أتصدق مما وصلني به أخواني، وإن كان قليلا؟

قال عليه السلام:

«تصدق بما رزقك الله ولو آثرك على نفسك»[3].

٣ـ عن أبي بصير، عن أحدهما، أي الباقر أو الصادق عليهما السلام، قال:

---

(١) الكافي، الكليني: ج٤، ص٤٢، باب: معرفة الجود والسخاء، برقم ١٥.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٢.
(٣) الكافي، باب الإيثار: ج٤، ص١٨.

قلت له: أي الصدقة أفضل؟. قال عليه السلام:

«**جهد المقل**»[1].

أما سمعت قول الله عزّ وجل:

﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾.

ترى ههنا فضلا[2].

جيم: زرع فضيلة الجود في نفس الطفل عند مرضه

الجود: (هو الإكثار من فعل الإحسان إلى الغير)[3] هذا المعنى البياني يتجلى بصورة واضحة في رعاية المريض من خلال السهر عليه والقيام بخدمته وتحمله والخوف عليه ومراقبة حالته والإنفاق عليه وغيرها من الأفعال الكثيرة التي تعد بمجموعها من الإحسان.

وحينما يلحظ الطفل هذه الأفعال التي يقوم بها الوالدان اتجاهه لاسيما الأم فإنها ستزرع في نفسه الجود فنراه يمارس هذا الفعل الحسن اتجاه الآخرين ولاسيما أخوانه الذين يحيطون به في بيت واحد.

أما في بيت علي وفاطمة عليهما السلام فقد ظهر مصداق الجود لدى الأبناء بشكل عملي وسريع وذلك حينما قدما طعام فطورهما لثلاثة أيام كما فعل والداهما (سلام الله عليهم أجمعين).

---

(١) المقل، أي قدر ما يحتمله حال القليل المال؛ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ج١، ص٣٢٠.

(٢) الكافي، باب الإيثار: ج٤، ص١٩.

(٣) وسائل المرتضى، الشريف المرتضى: ج٢، ص٢٦٧.

دال: زرع فضيلة الوفاء في نفس الطفل عند مرضه

تمتاز هذه الفضيلة الأخلاقية من بين الفضائل الأخرى التي تظهر أثناء مرض الطفل والتي يمكن للأبوين زرعها في نفسه لاسيما فضيلة الصبر والإيثار فهما غالباً ما يمكن ملاحظتهما والتركيز عليهما من خلال تعاملهما مع ولدهما المريض.

أما فضيلة الوفاء فيتعذر زرعها عند الطفل المريض وبخاصة حينما يكون وحيداً لوالديه أو أنه الطفل الأول.

إذ يمكن اعتماد الوالدين على تعليم الأبناء على الوفاء أثناء المرض وذلك من خلال التوجيه للأبناء حينما يمرض أحدهما فيقوم الآخرون برعايته ولذا يلزم الوفاء لمن قام منهم بالعناية لأخيه المريض أن يقوم بما قام به أخوه.

ولذلك: ينبغي الاهتمام بشكل كبير بالطفل الأول (وهو بكر الوالدين) وزرع هذه الفضائل الأخلاقية فيه كي يكون قدوة لأخوته في ذلك.

وترتكز عملية زرع الفضائل في الطفل الأول وتنشئته بعنوان القدوة لأخوته هو أن يبدأ الأبوان بأنفسهما ويلفتان انتباه ولدهما الأول إلى ذلك.

فهنا في بيت علي وفاطمة عليهما السلام كان الأبوان هما من ابتدأ بالوفاء لله تعالى بالنذر وبخاصة حينما يدرك الطفل أن هذا النذر إنما كان لأجله ولشفائه من مرضه فكيف لا يبدر كذلك هو بالقيام بهذه الفضيلة ولذلك نجد أن الحسن والحسين عليهما السلام قد صاما لله تعالى كما فعل والداهما وهما جميعاً حينما قدموا على هذا الصوم إنما كان وفاءً للنذر.

وعليه: من الضرورة بمكان أن يتبع الوالدان في الأسرة هذا النهج النبويّ الذي قام به أهل البيت عليهم السلام.

هاء: زرع فضيلة الإيمان بالغيب لدى الطفل حال مرضه

إن من أهم الفضائل التي تجد أرضاً خصبة لزرعها لدى الطفل في مرضه هي الإيمان بالغيب وذلك أن المريض يضع اهتمامه واعتقاده من النجاة مرتكزاً في ثلاثة أمور، وهي:

١ ـ والديه فهما أول من يستغيث بهما ويلتجئ إليهما في مرضه.

٢ ـ الطبيب الذي سيعالجه.

٣ ـ والدواء الذي تناوله.

وحينما يقدم له الأبوان هذه الأمور الثلاثة فإن تعلقه بهما سيكون كبيراً وسيرتكز في ذهنه إنهما هما اللذان يستطيعان نجاته وخلاصه من ألمه وتبديد خوفه.

في حين يغفل كثير من الآباء عن إسماع ولدهما المريض ما يرجعه إلى نواة فطرته ويلجئانه إلى الله تعالى والإيمان بالغيب وإنه سبحانه هو الوحيد الذي بيده الشفاء وهو الوحيد المعافي وليس هما ولا الطبيب ولا الدواء وهذه المسألة تحديداً يبرز إيمان الوالدين وكيفية تعاملهما حسب هذه الثقافة.

فكيف إذا أضيف إلى هذا الشعور والدرس الإيماني ما أخبر به أهل البيت عليهم السلام من الالتجاء إلى الدعاء والاستشفاء بالقرآن والصدقة والنذر كما هو واضح في بيت علي وفاطمة عليهما السلام.

وكيف بآثار هذه الفضيلة (الإيمان بالغيب) على الأبناء حينما نتبع ما قام به الإمام علي وفاطمة عليهما السلام من النذر لله تعالى كي يتفضل عليهم بشفاء الحسن والحسين عليهما السلام فنقوم نحن كذلك باتباع هذا المنهج حينما يمرض أبناؤنا ونروي لهم هذه السيرة العطرة لآل البيت عليهم السلام.

وكيف لا يقوم الأبناء كذلك بالاقتداء بالحسن والحسين فيصومون كما صاما شكراً لله تعالى على شفائه عندما يمرض أحدهم.

من هنا: فإن هذه الفضيلة هي تحقق بقية الفضائل أي الصبر والإيثار والجود والوفاء وهو ما دلت عليه الآيات المباركة في سورة الدهر ففي صومهم نذراً لله تعالى.

نحقق الصبر وهو حال الصائم، والإيثار والجود، وهو:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾[١].

والوفاء بالنذر الذي سنامه ومحركه الإيمان إذ لولا الإيمان بالغيب لما صام الإنسان ولو لم يلتزم بالوفاء لما نذر. ولذا: صرحت الآية بهذه الفضيلة:

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[٢].

فهم الأوفياء المؤمنون بالغيب.

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٨.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٧.

مصادر البحث ومراجعه

١. أسس تعلم اللغة وتعليمها/ تأليف هـ.دوجلاس براون/ ترجمة د.عبدة الراجحي وعلي أحمد شعبان/ طبع: دار النهضة العربية/ بيروت.

٢. الاضطرابات النفسية عند الأطفال والمراهقين/ تأليف: الدكتور موفق هاشم الحلبي/ طبع: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م/ دمشق ـ سوريا.

٣. الأعلام/ تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)/ طبع: دار العلم للملايين لسنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م/ بيروت ـ لبنان.

٤. إعلام الورى بأعلام الهدى/ تأليف: الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي/ تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ طبع: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث لسنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م/ الطبعة الأولى/ قم المقدسة ـ إيران.

٥. الأمالي/ تأليف: شيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠هـ)/ تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية/ طبع: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م/ الطبعة الأولى/ قم المقدسة ـ إيران.

٦. أمالي المرتضى/ تأليف: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ)/ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ طبع: دار الكتاب العربي لسنة ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م/ الطبعة الثانية/ بيروت ـ لبنان.

٧. الامالي للشيخ الصدوق: ط١ مركز الطباعة في مؤسسة البعثة، قم ـ إيران لسنة ١٤١٧ هـ.

٨. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع/ تأليف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)/ تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي/ طبع ونشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م/ الطبعة الأولى/ بيروت ـ لبنان.

٩. أولادنا/ تأليف: ريتارهج/ طبع: أكاديميا تلفزيون المستقبل لسنة ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

١٠. بهجة المحافل (مخطوط) يرقد في مكتبة الأسد بدمشق ويحمل الرقم ١٣٤٧١.

١١. تاج العروس/ تأليف: الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)/ تحقيق: علي شيري/ طبع: دار الفكر لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م/ بيروت ـ لبنان.

١٢. تاريخ مدينة دمشق/ تأليف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)/ تحقيق: عمر بن غرامة العمروي/ طبع: دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م/ بيروت ـ لبنان.

١٣. تأويل مختلف الحديث/ تأليف: عبد الله بن مسلم أبو محمد ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٤٢هـ)/ تحقيق: محمد زهري النجار/ طبع: دار الجيل لسنة ١٣٩٣هـ، ١٩٧٢م/ بيروت ـ لبنان.

١٤. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي/ تأليف: محمد بن عبد الرحمان المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)/ طبع: دار الكتب العلمية/ بيروت ــ لبنان.

١٥. تذكرة الفقهاء/ تأليف: العلامة الحلي/ تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ طبع: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م/ الطبعة الأولى/ قم المقدسة ــ إيران.

١٦. تطور اللغة عند الطفل/ تأليف: عبد الرحيم صالح/ طبع: دار النفائس للنشر والتوزيع/ الأردن.

١٧. تفسير التبيان، الشيخ الطوسي، (ت:٤٦٠هـ)، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، ١٤٠٩، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي.

١٨. تفسير الثعلبي، الثعلبي، الوفاة: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط١، لسنة: ١٤٢٢ - ٢٠٠٢م، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

١٩. تفسير الرازي/ تأليف: ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي/ طبع: دار الفكر لسنة ١٤٠١هـ، ١٩٨١م/ بيروت ــ لبنان.

٢٠. تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، (ت:١٤١٢هـ)، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة.

٢١. تفكير الأطفال تطوره وطرق تعليمه/ تأليف: د. يوسف قطامي/ طبع: دار الأهلية للنشر والتوزيع لسنة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م/ الطبعة الأولى.

٢٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ تأليف: الحافظ المتقن جمال أبو

الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ)/ تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف/ طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م/ الطبعة الأولى/ بيروت ـ لبنان.

٢٣. تهذيب تاريخ دمشق/ تأليف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)/ ترتيب وتصحيح: عبد القادر بدران الحنبلي (ت ١٣٤٦هـ)/ طبع: دار إحياء التراث العربي لسنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م/ الطبعة الثالثة/ بيروت ـ لبنان.

٢٤. ثواب الأعمال وعقابها/ تأليف: الشيخ الصدوق/ تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان/ طبع: منشورات الشريف الرضي لسنة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م/ الطبعة الثانية/ قم المقدسة ـ إيران.

٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط١، نشر: دار ابن حزم ـ دار الإعلام، سنة الطبع: ١٤٢٣هـ)، بيروت.

٢٦. جامع السعادات/ تأليف: ملا محمد مهدي النراقي/ تحقي وتعليق: السيد محمد كلانتر/ تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر/ طبع: دار النعمان للطباعة والنشر/ النجف الأشرف ـ العراق.

٢٧. الجعفريات/ تأليف: محمد بن محمد بن أشعث الكوفي/ طبع: مكتبة نينوى الحديثة/ طهران ـ إيران.

٢٨. الخصال/ تأليف: الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد

بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)/ تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري/ طبع: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين لسنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م/ قم المقدسة ـ إيران.

٢٩. الدر المنثور في طبقات ربات الحذور/ تأليف: الأديبة زينب بنت فواز العاملي/ طبع: دار المعرفة/ الطبعة الثانية/ نوع الطبعة: أوفسيت/ بيروت ـ لبنان.

٣٠. دراسات في علم النفس في الأقطار الاشتراكية/ تأليف: موفق الحمداني/ طبع: دار الحرية لسنة ١٣٩١هـ، ١٩٧١م/ بغداد ـ العراق.

٣١. الدعوات (سلوة الحزين)/ تأليف: قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ)/ تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف/ طبع: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لسنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م/ قم المقدسة ـ إيران.

٣٢. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى/ تأليف: الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٩١١هـ)/ طبع: دار المعرفة للطباعة والنشر لسنة ١٣٩٣هـ، ١٩٧٤م/ بيروت ـ لبنان.

٣٣. رسائل الشريف المرتضى/ تأليف: الشيخ المرتضى (ت ٤٣٦هـ)/ تقديم: السيد أحمد الحسيني/ إعداد: السيد مهدي الرجائي/ طبع: دار القرآن الكريم ـ مطبعة سيد الشهداء عليه السلام لسنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م/ قم المقدسة ـ إيران.

٣٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الآلوسي)/ تأليف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)/ تحقيق: محمد حسين العرب/ طبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م/ الطبعة الأولى/ بيروت ـ لبنان.

٣٥. السنن الكبرى/ تأليف: البيهقي الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)/ تحقيق: محمد عبد القادر عطا/ طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م/ الطبعة الثالثة/ بيروت ـ لبنان.

٣٦. السنن الكبرى، النسائي أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: د. عبد الغفور سليمان بنداري، سيد كسروى حسن، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١١هـ)، ١٩٩١م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٣٧. سير أعلام النبلاء/ تأليف: الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)/ تحقيق: شعيب الأرناؤوط/ طبع: مؤسسة الرياسة لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م/ الطبعة التاسعة/ بيروت ـ لبنان.

٣٨. سيكولوجية اللعب/ تأليف: د. سلامة فضل/ طبع: دار المشرق/ الأردن.

٣٩. شرح مشكل الآثار/ تأليف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت ٣٢١هـ)/ تحقيق: شعيب الأرنؤوط/ طبع: مؤسسة الرسالة لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م/ الطبعة الأولى/ بيروت ـ لبنان.

٤٠. شرح نهج البلاغة/ تأليف: ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥هـ)/

تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم/ طبع: دار إحياء الكتب العربية لسنة ١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م/ الطبعة الأولى/ بغداد ـ العراق.

٤١. شرف المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، الخركوشي (مخطوط): مكتبة الأسد بدمشق ويحمل الرقم ٦٨٨٧.

٤٢. شفاء السقام في زيارة خير الأنام صلى الله عليه وآله، المحقق تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (٧٥٦هـ)، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٥هـ)، ٢٠٠٥م، بيروت ـ لبنان.

٤٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ تأليف: إسماعيل بن حمّاد الجوهري/ الجزء الخامس/ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار/ طبع: دار العلم للملايين لسنة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م/ الطبعة الرابعة/ بيروت ـ لبنان.

٤٤. صحيح الجامع الصغير وزيادته للسيوطي/ تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)/ طبع: المكتبة الإسلامي لسنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م/ الطبعة الثانية/ دمشق ـ سوريا.

٤٥. الطبقات الكبرى/ تأليف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)/ طبع: دار صادر لسنة ١٣٧٦هـ، ١٩٥٦م/ الطبعة الأولى/ بيروت ـ لبنان.

٤٦. العقد الفريد/ تأليف: أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)/ تحقيق: د. مفيد محمد قميحة/ طبع: دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى/ بيروت ـ لبنان.

٤٧. علل الشرائع/ تأليف: أبو جعفر حمد بن علي الصدوق رحمه الله/ تحقيق: السيد محمد الصادق بحر العلوم/ طبع: مؤسسة الأعلمي لسنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م/ الطبعة الاولى/ بيروت ـ لبنان.

٤٨. علم النفس التكويني (الطفولة والمراهقة)/ تأليف: صباح حنا هرمز، يوسف حنا إبراهيم/ طبع: مديرية دار الكتب للطباعة والنشر لسنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م/ جامعة الموصل ـ العراق.

٤٩. علم نفس الطفل/ تأليف: الدكتور محمد عودة الريحاوي/ طبع: دار الشروق لسنة ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م/ عمان ـ الأردن.

٥٠. علم نفس الطفل/ تأليف: برفسور أ.أ. لوبلينسكايا/ ترجمة: بدر الدين عامود، علي منصور/ طبع: منشورات وزارة الثقافة لسنة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م/ سوريا.

٥١. علم نفس النمو الطفولة والمراهقة/ تأليف: الدكتور حامد عبد السلام زهران/ طبع: عالم الكتب للنشرة والتوزيع لسنة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م/ القاهرة ـ مصر.

٥٢. عوالي اللئالي/ تأليف: ابن أبي جمهور الأحسائي (ت ٨٨٠هـ)/ تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي/ تحقيق: مجتبى العراقي/ طبع: مطبعة سيد الشهداء لسنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م/ قم المقدسة ـ إيران.

٥٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام/ تأليف: الشيخ الأكبر أبي جعفر الصدوق/ طبع: المكتبة الحيدرية لسنة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م/ الطبعة الأولى/ قم المقدسة ـ إيران.

٥٤. عيون الحكم والمواعظ/ تأليف: علي بن محمد الليثي الواسطي توفي في القرن السادس/ تحقيق: الشيخ حسين الحسني البيرجندي/ طبع: دار الحديث/ الطبعة الأولى/ بيروت ـ لبنان.

٥٥. فقه الرضا عليه السلام/ تأليف: علي بن بابويه القمي (ت ٣٣٩هـ)/ تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ طبع: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام لسنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م/ الطبعة الأولى/ مشهد المقدسة ـ إيران.

٥٦. فقه الرضا عليه السلام/ تأليف: علي بن بابويه القمي (ت ٣٣٩هـ)/ تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ طبع: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام لسنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م/ الطبعة الأولى/ مشهد المقدسة ـ إيران.

٥٧. قرب الإسناد/ تأليف: الشيخ الحميري القمي/ تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ طبع: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م/ الطبعة الأولى/ قم المقدسة ـ إيران.

٥٨. الكافي، الشيخ الكليني، الوفاة: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الخامسة، لسنة: ١٣٦٣ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٥٩. كشف الغمة عن جميع الأمة/ تأليف: أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت ٩٧٣هـ)/ تحقيق: الشيخ زكريا عميرات/ طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م/ الطبعة الثانية/ بيروت ـ لبنان.

٦٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)/ تأليف: أحمد

بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)/ تحقيق: ابي محمد بن عاشور/ مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي/ طبع: دار إحياء التراث العربي لسنة ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م/ الطبعة الأولى/ بيروت ــ لبنان.

٦١. لسان العرب، ابن منظور، الوفاة: ٧١١هـ)، لسنة: ١٤٠٥، الناشر: نشر أدب الحوزة - قم إيران.

٦٢. المبسوط/ تأليف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)/ طبع: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م/ بيروت ــ لبنان.

٦٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ تأليف: أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)/ طبع: دار الفكر لسنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م/ بيروت ــ لبنان.

٦٤. المجموع شرح المهذب/ تأليف: الشيرازي، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)/ طبع: مكتبة الإرشاد لسنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م/ الطبعة الأولى/ جدة ــ المملكة العربية السعودية.

٦٥. مسالك الأفهام/ تأليف: الشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ)/ تحقيق: مؤسسة المعارف الإسلامية/ طبع: مؤسسة المعارف الإسلامية لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م/ الطبعة الأولى/ قم المقدسة ــ إيران.

٦٦. مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، الوفاة: ١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل (البيت عليهم السلام)، ط١، لسنة: ١٤٠٨ - ١٩٨٧ م، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)

٦٧. المستدرك على الصحيحين/ تأليف: ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)/ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ طبع: دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى/ بيروت ـ لبنان.

٦٨. مسند أحمد بن حنبل/ تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت ٢٤١هـ)/ طبع: عالم الكتب لسنة ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م/ الطبعة الأولى/ بيروت ـ لبنان.

٦٩. معاني الأخبار/ تأليف: أبو جعفر محمد بن علي الصدوق/ تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري/ طبع: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين لسنة ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م/ قم المقدسة ـ إيران.

٧٠. المعجم الموسوعي في علم النفس/ تأليف: نور بير سيلامي/ ترجمة: وجيه أسعد/ طبع: وزارة الثقافة/ سوريا.

٧١. من لا يحضره الفقيه/ تأليف: أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله (ت ٣٨١هـ)/ تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري/ طبع: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين/ الطبعة الثانية/ قم المقدسة ـ إيران.

٧٢. مناقب آل أبي طالب/ تأليف: ابن شهر آشوب المازندراني/ تحقيق: د. يوسف البقاعي/ الطبعة الأولى/ نشر: مركز الأبحاث العقائدية/ سنة الطبع: ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م/ قم المقدسة ـ إيران.

٧٣. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام/ تأليف: معهد باقر العلوم للتحقيق/ طبع: دار المعروف لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م/ الطبعة الأولى/

قم المقدسة ـ إيران.

٧٤. النهاية في غريب الحديث والأثر/ تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)/ طبع: دار إحياء التراث/ بيروت ـ لبنان.

٧٥. نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام/ تجميع: الشريف الرضي، السيد محمود المرعشي/ نشر: مكتبة السيد المرعشي لسنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م/ قم المقدسة ـ إيران.

٧٦. وسائل الشيعة (الإسلامية)/ تأليف: الحر العاملي/ تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ طبع: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م/ الطبعة الثانية/ قم المقدسة ـ إيران.

٧٧. وسائل الشيعة، باب استحباب تكرار الحمد: ج٦، ص٢٣٢.

٧٨. WWW.gulfson , WWW.balogh.com)

المحتويات

الإهداء ٥

المقدمة ٧

استهلال: ١٠

توطئة: ١١

المبحث الأول: الطفولة (Childhood)..... ١٥

المسألة الأولى: الطفولة في القرآن الكريم..... ١٥

ذكر القرآن الكريم لفظ (الطفل) في موضعين قال تعالى: ١٥

المسألة الثانية: الطفولة في الاصطلاح واللغة..... ١٦

المسألة الثالثة: الطفولة في علم النفس..... ١٦

المسألة الرابعة: الطفولة في علم نفس الطفل **Childhood Psychology**... ١٨

المبحث الثاني: النمو اللغوي وكيفية اكتساب اللغة لدى الطفل..... ٢٣

المسألة الأولى: كيف يكتسب الطفل اللغة؟ ٢٣

ألف: النظرية الفطرية..... ٢٤

باء: نظرية المحاكاة (**Imitation Theory**) ٢٥

جيم: نظرية التحليل النفسي (**Psychoanalytic theory**) ٢٥

دال: نظرية التعلم الشرطي (**Conditioned Learning Theory**) ٢٦

المسألة الثانية: للنبي صلى الله عليه وآله طريقة في اكتساب اللغة لدى الطفل. ٢٨

أولاً: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾**..... ٢٨

ثانيا: فصارت سنّة..... ٢٩

ثالثا: الحديث يدل على أن عمر الإمام الحسين (عليه السلام) كان بين السنة الثانية والثالثة..... ٣٠
رابعاً: لماذا هذا التكرار من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكلمة؟ وما أثره على الطفل؟ وكيف يراها المتخصصون في العلوم الحديثة؟ ٣٠
خامساً: لماذا توقف تكرار الكلمة عند المرة السابعة؟ وشرافة العدد (٧) ٣٢
المبحث الثالث: مرحلة المناغاة وأثارها المعرفية والأدراكية على الطفل..... ٣٥
المسألة الأولى: ما هي المناغاة (**Babbling**(؟..... ٣٥
أولاً: أنواع المناغاة..... ٣٦
ثانيا: مناغاة الزهراء للحسن والحسين عليهم السلام..... ٣٧
المسألة الثانية: جبرائيل عليه السلام يناغي الحسين عليه السلام..... ٣٨
المبحث الرابع: اللعب وأثاره على الطفل في نمو النواحي العقلية..... ٤١
والمعرفية والجسمية والاجتماعة..... ٤١
المسألة الأولى: النظريات التفسيرية للعب الأطفال ٤٢
١ . نظرية الطاقة الزائدة ٤٢
٢ . النظرية الغريزية ٤٢
٣ . نظرية التلخيص ٤٣
٤ . نظرية تجديد النشاط باللعب وحصول السرور..... ٤٣
المسألة الثانية: منهاج العترة النبوية في لعب الأطفال..... ٤٤
أولاً: المرحلة العمرية وما يناسبها من احتياجات تربوية ومعرفية ونمو فكري وجسدي..... ٤٤
ثانيا: دور اللعب في بناء النواحي الشخصية في منهج العترة النبوية ٤٦

المسألة الثالثة: منهاج الإمام علي عليه السلام في النمو الخَلْقي والخُلُقي للإنسان حسب المرحلة العمرية ٤٧
أولا: مرحلة الواقعية الأخلاقية)**Stage of Moral realism**(..... ٤٩
ثانيا: مرحلة الأخلاقية المستقلة**The Stage of Autonomous Motality** ٤٩
المبحث الخامس:المنهاج العملي للنبي وعلي وفاطمة (صلوات الله عليهم) في لعب الطفل وأثاره في النمو المعرفي والبدني ٥٣
المسألة الأولى: ملاعبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولديه عليهما السلام داخل البيت ٥٤
أولاً: تدريبهما على المشي. ٥٤
ثانيا: المشي وأثره في النمو الحركي والعقلي للطفل..... ٥٥
المسألة الثانية: الألعاب الاجتماعية والذهنية والتفكير ٥٧
أولاً: اصطراع الحسن والحسين عليهما السلام ٥٩
ثانيا: المطابقة بين مستوى الطفل النمائي الاجتماعي ومستوى الألعاب التي ٦١
المسألة الثالثة: أهمية الوقت في اللعب عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... ٦٢
نقاط البحث في الحديث: ٦٣
أولا: عامل الوقت المستخدم في اللعب ودوره في النمو ٦٣
ثانيا: الحكمة في ظهور الكرامة لهما عليهما السلام أثناء اللعب..... ٦٤
المبحث السادس: منهاج النبي (صلى الله عليه وآله) وسلم في ملاعبة الحسن والحسين عليهما السلام خارج البيت. ٦٧
المسألة الأولى: فوائد المنهج الجديد في التربية والتنشئة الاجتماعية ٦٧
المسألة الثانية: فوائد المنهج الجديد الذي اتبعه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في التنشئة الاجتماعية ٧٠

أولا: (مبحث سيكولوجي) حضور الأب في تربية الطفل وتطوير مهاراته وتنمية قدراته من خلال اللعب ٧٠
ثانيا: اختيار لعب الأطفال ٧٤
المسألة الثالثة: تأثير المنهج النبوي في التنشئة الاجتماعية في مجتمع المدينة ٧٦
أولا: (بحث سيكولوجي) اللعب خارج المنزل..... ٧٨
ثانيا: (بحث عقائدي) حسين مني وأنا من حسين ٨١
المبحث السابع: رعاية فاطمة لأبنيها(عليهم السلام) في ضوء المنهج النبوي..... ٨٧
المسألة الأولى: تربيتهما على أم الفضائل وهو العدل..... ٨٧
أولاً: العدل منذ الصغر..... ٨٩
ثانياً: العدالة أشرف الفضائل ٨٩
ثالثاً: إن العترة عليهم السلام هم جميعا في مكان واحد في الجنة ٩١
المسألة الثانية: تعويذهما عليهما السلام بزغب جناح جبرائيل عليه السلام..... ٩٥
مسائل البحث في الحديث:..... ٩٩
أولاً: الحكمة في تخصيص قطيفة لجلوس جبرائيل عليه السلام عليها ٩٩
ثانيا: الحكمة في جمع زغب جناح جبرائيل عليه السلام..... ١٠١
المسألة الثالثة: استغاثة فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند مرض ولدها الحسين عليهما السلام..... ١٠٢
أولاً: الالتجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل صغيرة وكبيرة ١٠٣
ثانياً: مراتب التوحيد وأثرها في قضاء الحاجات..... ١٠٤
ثالثاً: الاستشفاء بكتاب الله تعالى..... ١٠٥
رابعاً: أثر سورة الحمد في الشفاء ١٠٨
المسألة الرابعة: نذرها عليها السلام لشفاء الحسن والحسين عليهما السلام..... ١٠٩

أولا: ما ورد في الأثر عن كيفية وقوع الحادثة ١٠٩
ثانيا: مشاركة الأبوين في الاهتمام بالمريض وأثرها في التربية الأسرية ١١٥
ثالثاً: أثر المشاركة الجماعية لأفراد الأسرة في التربية الاجتماعية ١١٩
رابعا: استثمار حالة مرض الطفل في زرع الفضائل الأخلاقية في نفسه..... ١٢١
ألف: زرع فضيلة الصبر في نفس الطفل عند مرضه ١٢٣
باء: زرع فضيلة الإيثار في نفس الطفل عند مرضه ١٢٤
جيم: زرع فضيلة الجود في نفس الطفل عند مرضه..... ١٢٨
دال: زرع فضيلة الوفاء في نفس الطفل عند مرضه ١٢٩
هاء: زرع فضيلة الإيمان بالغيب لدى الطفل حال مرضه ١٣٠
مصادر البحث ومراجعه..... ١٣٣

الحمد لله